أَيَّامُ اللهِ

وَالصَّلَوَاتُ الخَمْسُ

شرح وتعليق

محمد البشير فرحان مرعي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾

صدق الله العظيم

(سورة إبراهيم - الآية: ٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، يليق بجلال وَجهه وعظِيم سُلطانه، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسَلين سيدنا محمد، الفَاتح لِمَا أُغلِق، والخاتم لِمَا سَبق، ناصِر الحقِّ بالحقِّ، والهادِي إلى صِراطكَ المستقيم، وعلى آله حقَّ قدرهِ ومِقدَارهِ العظِيم.

فقد عرَضَ عليَّ الأستاذ محمد البشير فرحان مَرعي موضُوع هذا الكتاب، فوجدتها فكرةً جديدةً غير مسبُوقةٍ فيما هو معرُوف لدَينا، والله أعلم بذلك، خاصَّة وأنَّ اختلافَ الخطابِ في القرآن الكريم يتنوَّع وِفقَ الحال، والسِّياق، والْمَقام، في المواضِعِ ذات المفاهيم المتشابهة، وعندئذٍ يحتاج الأمر إلى الدِّقة في التَّنقيبِ والبَحثِ في التَّفاسِير المختلفة للتوصُّل إلى ما يمكن أن يوفِّقنا إلى أقرب مفهوم، وأَوْضَحِ مقصُود من النَّص القرآني، للتَّعرف

(أيَّام الله والصَّلوات الخَمس).

على بعض المعاني مما ورد في مثل هـذه الآيـاتِ القرآنيـة المتقارِبة في التركيبات اللُّغوية، ذاتِ الأهداف المتشابهة.

ومن ذلك فقد وجدتُ أنها فُرصَـة طيِّبـةً للتَّعـرُف على شيء، ولو يَسِيرٍ، من الغاية التي يهدِف إليها الـنَّص القرآني بتذكير بني إسرائيل بأيَّامٍ منسوبةٍ إلى الله سـبحانه وتعالى ولم يطلب تذكيرَنا بها نحن المسلمُون، خاصَّـة وأن الأيامَ كلها هي أيامٌ لله تعالى؛ فاستخَرتُ الله في إنجازِ هذا العمل الطيب، ولَمَّا استشعرتُ الاطمئنانَ القلبيَّ والرَّاحةَ النفسِيَّةَ أذِنتُ به، سائلا المولى عزَّ وجلَّ أن يوفِّقَ الباحثَ إلى ما فيه النَّفع للمُسلمين، وأن يُذلِّل له ما يصعُبُ عليه من شَرحِ معنىً، أو إبرازِ مضمُونٍ، أو توضيحِ مفاهيمٍ.

والله وليُّ التوفيق، وهو خير مُعين،،،

محمَّد الحَافظ أحمَد التِّجاني

شيخ الطريقة التِّجانية بجمهورية مصر العربية

الإثنين: ٢٥ شوال ١٤٤٤هـ ـ ١٥ مايو ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله ربِّ العالمين، حمدًا يليق بجلال وجهِهِ، وعظيم سُلطانه، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسَلينَ، سيدنا محمَّد صلى الله عليه وعلى آله وصَحبه وسلَّم.

اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمَّد الفاتِح لما أُغلِق والخاتِم لما سَبق، ناصِر الحقِّ بالحقِّ، والهادِي إلى صِرَاطِك المستقِيم وعلى آله حقَّ قدرهِ ومِقدارهِ العظِيم.

قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾[2].

---

١) سورة إبراهيم ـ الآية: ١.

٢) سورة إبراهيم ـ الآية: ٥.

ومن هاتين الآيتين الكريمتين، برَزَتْ التَّساؤُلاتِ التَّالية:

❖ ورَد في الآيــة الأولى قولــه تعــالى: (كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ)؛ ولكــن في الثانيــة قــال: (أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ)، فلمَــاذا بالأولى إنزالُ كتابٍ، وبالثانية إرسالٌ بآياتٍ؟؛

❖ وفي الآية الأولى أيضًا قوله تعالى: (لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ)؛ بينمـا قال في الآية الثانية: (أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ)، فمَـا الفَـرق بـين صيغة الإخراج في الآيتين، وبين المستَهدَفِين بالإخراج، وكِلتَاهُمَا إخراجٌ من الظلمات إلى النُّور؟؛

❖ كما جاء في الآية الأولى قوله سبحانه: (بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ)؛ أمَّا في الآية الثانيــة فقــد قــال تعَــالى: (وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ)، فهل لا يحتَاج النَّاس إلى التَّذكِير بأيَّامِ الله من الرَّسول صلى الله عليه وسلم، كما احتاجَ قومُ سـيدنا موسـى عليه السَّلام في الآية الثانية؟؛

❖ **وما أيَّام الله، ولماذا لا يحتاج إليها المسلمُون؟!**

وقد جاء هذا الكتاب محاولةً للإجابةِ عن هذه التَّساؤلات العَدِيدة، والتَّعرف على شيءٍ من المعاني التي يُشير إليها اختلافُ أسلوب الخطاب في الآيتين، والوقُوف على جُزءٍ من الحكمة في تنَوُّعِ مضمُونهما، خصُوصًا وأنَّ مفهوم السِّياق العام للآيتين يؤدِّي إلى نتيجةٍ واحدة، وهي الدَّلالة على الله سبحانه وتعالى، وإخراجُ الأقوام الْمُخَاطَبين في هاتين الآيتين من ظلمَات الجهل إلى نور الهداية واليقين.

وقد تم تقسيم الكتاب إلى عِدة فصُول، كما يلي:

★ تنوُّع أسلوب الخطاب البيَاني في الآيتين؛

★ تعريفُ أيَّام الله من التَّوراة والقرآن؛

★ أيام الله بالنِّسبة للإنسان؛

★ أيام الله وأركان الإسلام الخمسة؛

★ ارتباطُ أيام الله بالصَّلاة؛

★ علاقة السُّنَنِ الرَّواتبِ بأيَّام الله.

والله وليُّ التوفيق.

(أيَّام الله والصَّلوات الخَمس).

بسم الله الرحمن الرحيم

(تنوُّعُ البيَان في الآيتَيْن)

جاءَت الصِّياغة القرآنية الحكيمَة في هاتين الآيَتين، موضُوع هذا الكتاب، مُتعدِّدة المعاني مختلفة الألفاظ والمباني، مُتنوعة الصِّياغة، مُتناسِقة العِبارة، كما هي كلُّ آياتِ الكتاب الحكيم، مما يجعل كل كلمة منها قد وُضِعت في مكانٍ يَدُلُّ على مفهوم خاص بها، يختلف اختلافًا جِذريًّا عن أيِّ كلمةٍ أخرى مُتشابهة معها في المبنى أو في الصِّياغة، مما يعنى أن كلَّ كلمةٍ جاءَت في مَوضِعٍ خاصٍّ بها للدَّلالة على معنًى معين هو المقصود بذاته، لا يتحقَّقُ بيانه بأيَّةِ صياغة بلاغية أخرى، أو تركيباتٍ لغوية متنوعة.

ومن ذلك يمكن الوقوف على تبايُنِ المعاني واختلافِ المباني في كلماتِ تلك الآيتين، في هذا الكتاب، كما يلي:

❖ففي الآية الأولى، جاء قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾(١).

❖وفي الآية الثانية قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾(٢).

والآية الأولى تخاطِب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بينما الآية الثانية تقُصُّ حكايةً عن سيدنا موسى عليه السَّلام، ورُغمَ إنَّ الهدفَ واحدٌ من الآيتين، وهو التَّبليغُ عن الله، والدَّلالةُ عليه، وإنقاذُ الناس من وَهدَةِ الكفر، إلا أنه تُوجَد بعض الاختلافات في صياغة كلمات كلٍّ منهما، ولكلٍّ منها مدلولها الخاص الْمُؤَدِّي إلى المعنى المقصود؛ وسوف يتمُّ بإذن الله، سَردُ هذه الاختلافات بين الآيتين من عِدَّة وجُوه، على النحو التالي:

---

١) سورة إبراهيم ـ الآية: ١.

٢) سورة إبراهيم ـ الآية: ٥.

أولا: اختلاف أدوات الرِّسالة في الآيتين، وهما:

✓ ففي الآية الأولى قوله تعالى: (كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ)؛

✓ ولكن في الآية الثانية قال: (أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ):

- وقد أفادت الآية الأولى: أن الذي أُنْزِلَ على الرَّسول صلى الله عليه وسلم هو (كتَابٌ)، ومَعلوم أن الكتابَ هو القرآن الكريم، قد أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكونُه كتابًا، فهذا يعنى أنه مُكتملُ المبنى، وافِرُ المعنى، وأنه كغَيره من الكتب السَّماوية السَّابقة، مِنْ حيث الإنزَالِ على الرُّسل، والاحتواءِ بِمُرادِ الله من خلقه؛ وقد جاء التَّنكير في كلمة (كتَاب)، تعظيمًا لشأنه، وإعلاءً لقَدرِهِ، وإبرازًا لمكانتِهِ، فيكون المعنى: (أنه كتاب عظيمُ الشأن، لا يُدرَك كُنهُه، ولا تُحيطُ به أفهَامُ البشَر، إلا أن يكون بتوفيقٍ من الله، وما يعلم تأويلَه إلا الله).[1]

١) زهرة التفاسير ـ للإمام محمد بن أحمد ـ المعروف بأبي زهرة.

فهو كتاب مُكتملُ الأركان في مَبناه، بليغُ الصِّياغة في معناه، عظيمُ الشَّأن في محتواه، شاملٌ لكل ما هو مطلوب من أركان الإيمان، وعناصِر الشريعة، وحقائق العِبادة لكل البشر، فهو كتاب مُستمِرٌّ على طول الدَّهر، إلى يوم الحشر.

- أمَّا في الآية الثانية، فقد أرسل الله رسُوله موسى عليه السلام بـ (آياتٍ) ـ والآياتُ هي مُعجزاتٌ عظيمة، وأحداثٌ جليلة، أظهرت القدرة الرَّبانية في كيفية إيجادها، والحكمة الإلهية من إحداثها، إلا أنها ليست شاملةً لأيَّةِ تعاليمَ دينية، وليست باقية إلى نهاية البشريَّة، فهي لشعبٍ مخصُوص لهدفٍ مقصُود؛ وقالَ الأصَمُّ: آياتُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ هي: العَصا واليَدُ، والجَرادُ والقُمَّلُ، والضَّفادِعُ والدَّمُ، وفَلْقُ البَحْرِ، وانْفِجارُ العُيُونِ مِنَ الحَجَرِ، وإظْلالُ الجَبَلِ، وإنْزالُ الْمَنِّ والسَّلْوى، وهي لهم خاصَّة[1].

١) تفسير الرازي ـ فخر الدين الرازي، في تفسير هذه الآية الكريمة.

وقيل أيضًا، أن المراد بـ(الآياتِ): الآياتُ التِّسع التي أيَّدَ الله تعالى بها سيدنا موسى، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[1]، وهي: العصَا واليدُ والطوفانُ والجرَاد، والقُمَّل، والضَّفادع، والدَّم، والجدْبُ، [أى: في بَوَادِيهم]، والنقصُ من الثَّمرات، [أى: في مزارعِهم]؛ وقد كان الهدف من هذه الآيات المتعدِّدة، تذكيرُ قومٍ مُعينٍ بأحداثٍ مخصُوصةٍ مُتعلِّقةٍ بهم، تُبرِزُ فضلَ الله الكبير عليهم فيعبُدوه، وتُظهِر قدرته العظيمة إليهم فيرهَبُوه.[2]

ثانيا: تنوع أسلوب الأَمْر في الآيتين، كمايلي:

- ✓ جاء الأمر في الآية الأولى بقوله تعالى: (لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ)؛
- ✓ بينما قال في الآية الثانية: (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ).

ويَظهَرُ من ذلك التَّنوعِ في اختلافِ أسلوب الخطاب القرآني، إشارتان جليلتَان، مُحْكَمَتان، هما:

---

١) سورة الإسراء ـ الآية: ١٠١.

٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ سيد طنطاوي.

• **الإشارة الأولى: الفرق بين (لتُخرجَ) و(أنْ أخْرِجْ):**

لقد جاء في الآية الأولى قوله تعالى: (لتُخرجَ) بصيغة الفعل المضارع الذي يُفيد الاستمرَارَ والتَّجدُّد التِّلقائي بدون إذنٍ جديد، فهو إذنٌ واحدٌ قد صدَر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بإذنِ ربِّه سبحانه وتعالى لحظَةَ نزُول الكتاب الكريم، وسيَستَمِرُّ إلى ما شاء الله، ويكون أمرُ الإخراج شاملا الناسَ جميعًا، ولكافة البشر على مدار الزَّمن.

أمَّا في قول الله تعالى: (أن أَخْرِجْ)، فقد جَاء فعل الأمر (أخرج)، الذي يفيد الْمرَّة الواحدَة في تنفيذِ الأمر، ولن يتجدَّد إلا بأمر جديدٍ، فهو أمرٌ تحقَّقَ وقتَ صُدُورِهِ، وأصبح تنفيذُه موقوفًا على مُدَّةِ بقاءِ نبي الله موسى عليه السلام بين قومه، لا يتعدَّاه إلى مُدَدٍ أخرى، فهو أمرٌ قاصِرٌ على قوم موسى عليه الصّلاة والسّلام دون غيره من الأُمَم، ينقضي بانقضاءِ رسالته الكريمة.

• **أمَّا الإشارة الثانية: الفرق بين (النّاس)، و(قومَك):**

فكلمة (النَّاس): هي اسمُ جمعٍ لبني آدم، وتعني جميعَ الخلق في الحاضِر والمستقبل، فمَتَى كان النَّاسُ موجُودِين في الدُّنيا، يكون الإخراج من الظلمَات إلى النُّور بإذن ربهم لمن أراد الله لهم الخرُوج، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

وأيضًا، قد يُشار إلى جماعةٍ من النَّاس بكلمة (أمَّة)، فالرَّسول صلى الله عليه وسلم أرسَله الله في أمَّة كاملة، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ﴾[2].

أمَّا كلمَة (قوم): فهي تعني الجمَاعة من الناس، ويُقال في قوم الرَّجُلِ: أهلهُ وعشِيرته، وأقرباؤه الذين يجتمِعُون معه في جدٍّ واحد، أو أقاربه وعَصَبيَّته[3]؛ وقد تكرَّرت في أكثر

١) سورة سبأ ـ الآية: ٢٨.
٢) سورة الرعد ـ الآية: ٣٠.
٣) المعجم الرائد ـ كلمة (قوم).

من موضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1]؛ وغيرها الكثير.

ولَمَّا جاءَت الآية الثانية من هذا البَحث مُخاطِبةً سيدنا موسى عليه السَّلام بأن أخرج: (قومَك)، أفادَت (كافُ الْمُخاطَب)، أنَّه أمرٌ خاصٌّ بقَوم سيدنا موسى عليه السَّلام، ليسَ للأقوام التي تأتي من بعدِه، لأنه ستأتي رُسُلٌ أخرى في أقوام آخرين، وتكون لهم رِسَالاتٍ مُغايرَة لرسَالة سيدنا موسى، وقد تأكَّدَ مثلُ ذلك الخطاب في عِدَّة آياتٍ من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[2]؛ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[3]؛ وبهذا يكون قد اتَّضح الفرقُ جليًّا بين الرِّسَالةِ إلى (النَّاس)، والرِّسالة إلى (القَوم).

---

١) سورة هود ـ الآية: ٢٥.

٢) سورة محمد ـ الآية: ٣٨.

٣) سورة هود ـ الآية: ٥٧.

ثالثا: الفرق بين: الأمر (بإذن ربِّهم)، والتَّذكير (بأيام الله):

✓ جاء في الآية الأولى قوله سبحانه: (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ)؛

✓ أمَّا في الآية الثانية فقد قال تعالى: (وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ).

ومِنْ هاتين الآيتين برَزَت التَّساؤلات التَّالية:

ما هو الفرق بين كلٍّ من: (الرَّبِّ والإله)؛

وبين (الإذن والتَّذكير)؛

وما هي: (أيَّام الله)؟

١) الفرق بين: (الرَّبِّ) و (الإله):[١]

هذان الاسمَانِ من الأسماء المتعلقة بالذَّات الإلهية وكلاهُما اسم للذَّات المقدَّسَةِ؛ إلا أنَّ اسمَ (الرَّبِّ)، غيرُ اسم (الإله)، من حيث موقع كلِّ اسمٍ في سياق الآياتِ القرآنية، وِفْقَ الْمَدلُولِ اللُّغوي لكل منهما، كما يلي:

١) تم تناول الفرق هنا بين معنى الاسمين: (الرَّبُّ) و(الإله)، في هذه الفقرة من حيث المدلول اللغوي فقط، ومدى تعلُّق المعنى بسياق الآيات القرآنية الواردة فيها، بينما سيتم توضيح الفرق بين كلٍّ من (مرتبة الرُّبوبية)، و(مرتبة الألوهية) في الفصل الخامس بإذن الله.

• **فأمَّا اسم (الرَّبِّ) فمعناه في اللُّغة**: (الرَّبِّ) هو العَلِيُّ عن كل ما سِواه، ومنه سُمِّيت الرَّبوة رَبــوةً لعُلُوِّهـا، ومعنـاه: أنه هو المالك والمتصرِّف والخالق والقاهر والنَّافِـذُ حُكمُـه ومشيئتُه وكلمتُه في كلِّ ما سِواه[1]؛ فهـو المربِّـي، والموجِّـهُ والمرشِد؛ وتكون أيضًا بمعنى: المالِك، فكلُّ مَنْ مَلَكَ شـيئًا فهـو رَبُّه، يُقـال: (ربُّ الـدَّار) و(ربُّ الضَّـيعة)، قـال الله تعـالى: ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾[2]؛ وقـد تُضافُ، كمَا في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3]، وفي قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]؛ ولا يُقالُ اسْمُ: (الرَّبّ)، مُعرَّفًا بالألف واللام في أيِّ سِياقٍ مُطلقًـا، إلا لله عزَّ وجلَّ؛ فلا يُقال: الرَّب فُـلان؛ لأنه يُوهِمُ معنًـى آخـرَ،

١) علي حرازم بن العربي برَّادة الفاسي، جواهر المعاني، طبعة الكليات الأزهرية: ج٢ ص٨٥ ـ باب/٥ ـ فصل/٣.

٢) سورة يوسف ـ الآية: ٥٠.

٣) سورة الرعد ـ الآية: ١٦.

٤) سورة الفاتحة ـ الآية: ٢.

فلا يُطلق إلا على الله جلَّ وَعَلاَ، لأنه مالِكُ الأشياءِ جميعًا، فهو الذي أوجدَها، وأمَدَّها، ورَعَاها، وقامَ على كافَّة شئُونِ الْخَلقِ بفيُوضاتِ عَطاءِ اسم (الرَّبِّ)، بل وعلى كلِّ نفسٍ بجميع حاجَاتها المادية والإعَاشِية، لكلِّ مِنَ المؤمنِ والكافِر، الطَّائعِ والعَاصِي، العَابِدِ والْمُتألِّهِ، والشَّاهِدِ له بالوحدانيةِ حقًّا، والْجَاحِدِ رُبوبيَّتَه؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[1]؛ فهو القائم بهم في كل أحوالهم، سواءً أكانوا في: عالم البَرزَخ، أو في الحياة الدُّنيا، أو في الآخرة، كما يلي:[2]

١) **أمَّا في حياة البرزَخ:** ففي عالَمِ الذَّر، قبل خلقِ الأجسَادِ الطينية، أشهدَ الله جميعَ الخلقِ على أنفسِهم حيث خاطَبهم قائلا: (ألستُ برَبكم)، وليس (بإلهكم)؛ قال

---

١) سورة الرعد ـ الآية: ٣٣.

٢) مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العقدية**، (الكتاب الثاني: الإيمان بالله، الباب الثاني: توحيد الألوهية، الفصل الأول، المبحث الثاني: الفرق بين اسمي: الرَّب، والإله).

سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۚ﴾[1]؛ **وقال الله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[2]؛ **وذلك لأن الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين يتكلَّم من حيث عطاءِ الرُّبوبيَّة بما يناسِبُ السيَّاقَ لكلٍّ منهما:**

ـ ففي الآية الأولى كان الخطابُ أزليٌّ بَرزخيٌّ[3]،

ـ أمَّا في الآية الثانية فكان الخطابُ إعلامًا عن مصدر النَّشأة الأولى، فخاطَبنا باسم (الرَّبِّ) سبحانه.

٢) <u>وأمَّا في الحياة الدنيا</u>: فتَتجلَّى مظاهرُ اسم (الرَّبِّ)، منذ أن بدأ الظهُورُ الآدميُّ في الكون، فكان خطابُه الأوَّلُ في الخلق لآدمَ عليه السَّلام والسَّيدة حوَّاء بعد أكلِهِمَا من الشجرة، بقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ١٧٢.

٢) سورة النجم ـ الآية: ٣٢.

٣) سوف يأتي تفصيل الحياة البرزخية في الفصل الخامس بإذن الله.

وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1]، فقول الله سُبحانه: (وناداهُما ربُّهُما)، وقول كلٍّ من سيدنا آدم والسَّيدةِ حواء عليهما السَّلام: (قَالا رَبَّنَا)، ذلك لأنَّهمَا كانَا يَنعمَانِ في عَطاءِ فيوضَاتِ اسمِ (الرَّب)، التي تشمَل جميعَ الخلق، وَهُمَا في أوَّل مراحِلِ الوجُودِ في هذه الحياة الدنيا.

٣) أمَّا في الآخرة: فيأتى اسم الـ(رَبُّ) فى المواقِف التى تَستلزِمُ كلاً مِنَ: القِوامَةِ، والقُدرة، والحنَان، والعَطفِ، والرَّحمة، وأيضًا بما فيها من ألوانِ العذابِ، فيكون الخطاب بين الله والخلق من عطاءِ الرُّبوبية، كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[2].

وهذا من حيث معنى اسم: (الرَّب).

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ٢٢ ـ ٢٣.

٢) سورة المؤمنون ـ الآية: ١٠٦ ـ ١٠٨.

• **وأمَّا اسْمُ (الله)**: فمعناه: (الإله)، أي: المعبودُ؛ ويَعني: توجُّهُ الموجوداتِ إليه بالعبادةِ، والخضُوعِ والتَّذلل والفقرِ، والتَّعظيم، والإجلالِ والمحبةِ[1]؛ فهو مُرتبطٌ بكافة الأحوال التَّعبُّدية، من: إيمانٍ، وعقيدةٍ، وأداءِ الفرائض والعِباداتِ والمناسِكِ، وإقامة الشَّعائر الدِّينية، وسائر أنواع التَّكليفِ التي عليها مَدَارُ الثَّواب والعقابِ في الآخرة، مع اليَقين التَّام بأنَّ (الله) هو إلهٌ واحدٌ، ليس معه شريك يُعبد؛

وقد جاء تأكيدٌ من الله بأنَّ (الإله) هو (الله) سبحانه وتعالى، لا يوجَدُ أحدٌ سِواه، حيث قال سُبحانه مخاطبًا رسُولَه الكريم محمدًا صلى الله عليه وسلم، بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛[2] وحتَّى لا تحدُثُ ازدِوَاجِيَّةٌ في المفهوم الذِّهني بين كلٍّ من: اسم (الرَّب)، واسم (الإله)،

١) علي حرازم بن العربي برَّادة الفاسي، جواهر المعاني، طبعة الكليات الأزهرية: ج٢ ص٨٥ ـ باب/٥ ـ فصل/٣.

٢) سورة محمد ﷺ ـ الآية: ١٩.

جمعَ الله بين هذين الاسمَين في آية واحدَةٍ، وقد تكرَّرت في عِدَّة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾(١)؛

وقال تعالى أيضًا: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾(٢)؛ وهذا هو **(عين التَّوحيد)**؛ ولذا تنوَّع خطابُ الحقِّ عند الأمر بإخراج النَّاس من الظلمَات إلى النُّور في هاتين الحالتين، موضُوع هذا الكتاب، حيث كان الأمرُ الإلهيِّ مَرَّة بقوله: **(بإذن ربِّهم)**، ومرَّة كان: **(التَّذكير بأيام الله)**.

- **أمَّا الفرق بين (الإذن) و (والتَّذكير):**

فمِنَ الملاحظ أن الإذنَ كان مُقترنًا باسم الربَّ، حيث قال تعالى: (بإذن ربِّهم)، بينما جاء التَّذكِير مع الاسْمِ الأعظَمِ (الله) بقوله: (وذكِّرهم بأيَّام الله)، وفي هاتين الحالتين، كانت الشَّرائع السَّماوية قد وُجِدَتْ، والتكاليفُ الإلهية قد

١) سورة الأنعام ـ الآية: ١٠٢.
٢) سورة البقرة ـ الآية: ١٣٩.

وُضِعَتْ، ولكن مرَّ عليها الزَّمن ونُسِيَ بعضُها، فهي في حاجةٍ إلى تذكيرٍ بعد نِسيانٍ، وإعلانٍ عنها ببرهانٍ، فتتابَعَتْ الرُّسلُ والأنبيَاء لتجدِيدِ الدَّعوةِ إلى التَّوحيدِ، ولكن اختلفَ أسلوب الخطاب باختلافِ الأديان، كما يلي:

فأمَّا دين الإسلام: فقد جاء على يَدِ خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان قبلها دينُ التَّوحيدِ معلوم، والدَّعوة إلى الألوهية مُعلنَة، فقد قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، فهذه الدَّعوة صَريحةٌ لتوحيدِ الألوهية من كافة الأمم السَّابقة، وسوف تَسْتمِرُّ حتى نهاية الأجل، وهذا الاسْتِمرارِ سيكون في الحياة الدُّنيا لِمَنْ آمنَ وأعلنَ رايَةَ التَّوحيد، إلا أنه سيَعيشُ

١) سورة البقرة ـ الآية: ١٣٦.

هو ومَنْ لَمْ يُؤمن تحت مِظلَّةِ عطاءِ الرُّبوبية، لأنَّ الله سيكفُل لهم البقاءَ جميعًا على قيدِ الحياة، ولذا كانت الدَّعوة الإلهيَّة لإخراج الناس كافة من الظلمَات إلى النُّور: (بإذن ربِّهم)، لأنَّ (الإلهَ) المعبودَ كان معلومًا لهم بالضَّرُورَةِ.

وأمَّا شريعة سيدنا موسى عليه السَّلام: فقد كانت التَّوراةُ تَحمِلُ كثيرًا من التَّعاليمِ والأحكامِ الرَّبانيَّة، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾[1]، وكانت هذه التَّعاليم والأحكام تَصدُر هُدًى ورحمةً لبني إسرائيل من عطاءِ الرُّبوبيَّة حيث يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾[2]،

١) سورة المائدة ـ الآية: ٤٤.
٢) سورة الأنعام ـ الآية: ١٥٤.

فإنهم كانوا يَعترفُون بأنَّ لَهُم ربٌّ في السَّماءِ، وكان البعضُ منهم يُؤمِن بما أُنزِلَ إليهم من ربِّهم في التَّوراةِ من تعَاليم وشرائع وأحكامٍ يحكُمُ بها النبيُّونَ والأحبَارُ والرُّهبَان، إلا أنهم كانوا يبحثون عن (إلهٍ) يعبدُونه كما كان لبعض الأقوام الأخرى آلهةٌ، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[1]؛

وكلمة (تجهَلون)، أي: تجهَلون عظمَةَ الله تعالى الذي أنجاكم من فرعونَ وقومِهِ فأغرقهُم في البَحر وأنجاكم أنتُم منه، فإنه لا يَستَحِقُّ أن يُعبدَ سِواه[2]، فكان اعتقادُهم أن هناك (ربٌّ) أنجاهُم من الغَرق، إلا أنهم كانوا يبحثُون عن (إلهٍ) يعبُدونه، ولم يَفقَهُوا أنَّ الرَّب هو ذاته (الإله) الذي يبحثُون عنه، حيث إنهم فرَّقوا بين (ربٍّ) يمنح عطاءً، و(إلهٍ) يُعبد وفاءً.

١) سورة الأعراف ـ الآية: ١٣٨.
٢) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ـ الخازن.

وقد كان الحوار بين فرعون وبين سيدنا موسى عليه السَّلام يحملُ دائمًا في طيَّاته هذه العقيدةِ الرَّاسِخةِ في التفرقة بين (الرَّبِّ) و(الإله)، فقد سأل فرعون سيدنا موسى، قائلا: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]؛ فكان جوابُ سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[2]؛ وقوله عليه السَّلام (إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ)، أي: مُصدِّقين بأنَّ الله هو ربُّ السَّمواتِ والأرض الذي خلقهُمَا[3]؛ فسَيطرَتْ على فرعون نَزْعَةُ الألوهِيَّةِ وازدادَ غضبًا فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[4].

وقد ظهرَ واضحًا جَلِيًّا من هذا الرَّدِّ، مدَى مفهُوم فرعون وقومه من التَّفرقة بين اسم (الرَّب)، واسم (الإله)،

---

١) سورة الشعراء ـ الآية: ٢٣.
٢) سورة الشعراء ـ الآية: ٢٤.
٣) تفسير القرآن الكريم ـ الفيروز آبادي.
٤) سورة الشعراء ـ الآية: ٢٩.

ومكثوا حِقبةً من الزَّمن يبحثُون عن ذلك الإله المزعُوم، حتى إنهم وجدُوا ضَالَّتَهم في خديعَةِ السَّامِريِّ، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾[1]؛ ولهذا المفهُوم الخاطِئ، أراد الله أن يُخبرَ النَّاسَ بأن (ربَّهم) الذي خلقَهم، هو ذاته (الإله) الذي يجبُ أن يعبدُوه، فجمَع بين اسْمِ (الإله) واسْمِ (الرَّبِّ) في خطابٍ واحدٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[2].

ولأنَّ قومَ موسَى قد عَلِمُوا مفهوم (الرَّبِّ)، وجَهِلوا معلومَ اسْمِ (الإله)، خصَّهم الله سبحانه وتعالى بتذكيرهم بالأيام التي مرُّوا بها، وذلك بقوله تعالى:

(وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ)، وليس بأيام (الرَّبِّ).

---

١) سورة طه ـ الآية: ٨٨.
٢) سورة غافر ـ الآية: ٦٢.

• **أمَّا الإجابة عن مَاهِيَّـةِ (أيَّام الله): ففيها إشارتان**:

✓ **الإشارة الأولى**: أنَّ الأيامَ في هذه الآيةِ الكريمة منسُوبةٌ إلى مرتبَـةِ الألوهِيَّـةِ، بقولـه تعـالى: (أيَّـام الله)، حيث تم الإبلاغُ عن مُرادِ الله من خلقِه في الأُمَم السابقة كافَّـة، منذ أن كان أوَّل نَـبي أو رسُـول، وصـدَرت لهـم التكاليف الإلهية، وكانـت الشَّـرائع السَّـماوِية موجُـودة حين صُدور هذا الأمر لسيدنا موسى عليه السلام، فهي معلومةٌ لكلِّ الخلق، وجميـعِ الأمـم، سَـواء تَـمَّ قبولَهـا والعمَلَ بها من بعض الأقوام المؤمنة، أو حـدَث نُكـرانٌ لها من البعض الآخر، ولذا كان الكلام من حَضْرةِ اسمِ (الله) سبحانه، لوجُود الشَّرائع؛ وذلك لا يمنَع اسـتِمْرارَ تجلِيَّاتِ حضرة الرُّبوبية على جميع الخلـق، لحـاجتهم إلى الرِّعاية والعِناية، ودوامِ الإمدادِ المـادِّي، رُغـم اخـتلافِ أحوالهم الإيمانية، وتنوُّع إقراراتهم بالعبُودية.

✓ **وأمَّا الإشارة الثانية**: فإنَّ المقصود بالأيام في حَقِّ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ هي تلك الوَقائِعِ العَظِيمَةِ الَّتِي وقَعَتْ فِيها، سواء أكان منها أيّامَ الْمِحْنَةِ والبَلاءِ، وهي الأيّامُ الَّتِي كانَتْ بَنُو إسْرائِيلَ فِيها تَحْتَ قَهْرِ فِرْعَوْنَ؛ أو مَا كانَ مِنها أيّامَ الرّاحَةِ والنَّعْماءِ، مِثْلَ إنْزالِ الْمَنِّ والسَّلْوى عليهم، وانْفِلاقِ البَحْرِ، وتَظْلِيلِ الغَمامِ، وأيضًا تلكَ الأيام التي نَجَّى الله فيها بني إسرَائيل من أعدائهم في زمَن موسى عليه السلام وقد نصرَهم الله، وسخَّر لهم أسباب الفَوز والنَّجاة، وأغدَق عليهم نِعمَه الوفيرَةَ.[1]

ومن الإشارة الأخيرة، حيث إنَّ الله أمرَ سيدنا موسى عليه السَّلام بتذكير قومَه (بأيَّام الله)، التي مرَّت عليهم سَواء بالبأسَاءِ والضَّراء، أو بالبَهجَة والنَّعمَاءِ، بينما لم يحدث ذلك مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أُنْزِلَ إليه الكتابُ لإخراج الناس من الظلمَات إلى النور، بَرَزَ السُّؤال الآتي:

١) تفسير التحرير والتنوير - ابن عاشور.

هل لا يحتاج الناس إلى التَّذكير بأيَّام اللّه، مِنَ الرَّسول صلى اللّه عليه وسلم، كمَا كانَ مع قومِ موسى عليه السَّلام؟.

.....

هذا ما سَوف تتمُّ الإجابة عنه في الصَّفحات التَّالية، بإذن اللّه تعالى؛
لأنه الموضُوع الأساسُ لهذا الكتاب،
والهَدفُ الرَّئيسُ منه.

(واللّه ولي التَّوفيق)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تعريفُ أيَّام اللّه)

اختصَّ اللهُ سبحانه وتعالى أيامًا خَاصَّةً شرَّفها على باقي الأيام، فنَسبَها إليه وسمَّاها في قرآنه العَظيم (أيام الله)؛ وقد وردَت هذه التَّسمية مرتين فقط في القرآن الكريم:

★ الأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾.[1]

★ والثانية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.[2]

ولقد تعدَّدت الآراءُ، وتنوَّعت التَّفاسِيرُ، في الوقُوفِ على مَاهِيَّةِ هذه الأيام، والتَّعريفِ بها، أو تحديدِ مفهُومِها.

---

[1]) سورة إبراهيم ـ الآية: ٥.

٢) سورة الجاثية ـ الآية: ١٤.

ولـذلك ذهَـبَ المفسـرُون في بيـانِ المـراد مِـنْ قولـه سبحانه وتعالى: {أيام الله} إلى مذهبين:

الرأي الأول: يرَى أن الْمُرادَ بــ{أيـام الله} في الآيـة الأولى أنها خاَّصة ببني إسرائيل، حيث أمرَ الله سيدنا موسَـى عليه السَّلام أن يُذكِّرَ قومَه بالأيام التي أنعَم الله فيهـا علـيهم بالنِّعَم الوفيرةِ، سَـواءٌ بـإخراجِهم مـن أَسْـرِ فرعَـون وقهـرِهِ وظُلمِه، وأن نَجَّاهُم من عدُوِّهم، وفَلَقَ لهم البَحرَ، وظلَّلَهُـم بالغَمَام، وأنزلَ عليهم الْمَـنَّ والسَّـلوَى، إلى غـير ذلـك مـن النِّعم العديدة، وهذا التفسير قال به جمهـور المفسِّـرين، لأنـه الأنسَب بالمقام، والأوفقُ بالسِّياق؛

أمَّا في الآية الثانية فإنها خاصَّة بأولئكَ الكفار الـذين لا يَرجُون أيامَ الله؛ أي: سواء أنهم لا يُبالُون نِعَم الله عليهم، أو لا يخافون نِقمَ الله منهم،[1] وبذلك جمع الْمُفَسِّـرُ بـين كـلٍّ مِنَ الشُّكرِ على العَطاءِ، والخوفِ مِنَ العذاب.

---

١) جامع البيان في تفسير القرآن ـ تفسير سورة الجاثية ـ الطبري.

أمَّا الرأي الثاني: فيرَى أنَّ المراد بـ{أيَّام الله} في الآيتين، هو وقائِعُ الله وأحداثُه على الأمَم، فيكون معناها: التَّذكيرُ بالوقائعِ التى حدَثتْ على الأمم الماضية، وأيامِ ظُهُورِ بَطشِهِ وقَهرِه لِمَنْ عَصَوْا أمرَه، مثلَ قوم نُوح، وعادٍ، وثمُودَ، وغيرِهِم ممن كانت لهم أيَّامًا مشهُودَة، ومنها ما ورَدَ ذِكرُه في هذه الآية من قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]

وقد كان الغرض من ذِكر بعض ما كان فى أيَّام الله من وقائع وأحداث في الأمَم السَّابقة، أن يَحْذَرَ الناسُ مثلها فيؤمنوا، كما يُقال في المثل: ((رَهبُوتٌ خيرٌ من رَحَموتٌ))، ومعناه تلك العِبرَة القائلة: (لَإِنْ تُرهِبْ خيرٌ مِنْ أنْ تَرْحَمْ)، ويُقال أيضًا أنَّها عن أيامِ العربِ، أي، حرُوبها: كيومِ حُنَين، ويومِ بَدرٍ، وغَيرِها.[2]

---

١) سورة الشعراء ـ الآية: ١٨٩.

٢) روح البيان في تفسير القرآن ـ إسماعيل حقي.

ولا تَعَارُضَ بين المذهبَين في تفسيرِ المرادِ بـ (الأيَّـام)، بل كلٌّ منهما مُكمِّل للآخَر، ويؤكِّد هـذا أنَّ الإمـامَ الـرَّازي فسَّر تلك الآية بما يدلُّ على المعنيين معًا، حيث قال:[1]

''المعنى المقصود: أنْ عِظْهُـم بالتَّرغيـبِ والتَّرهيـبِ، والوَعد والوَعيد؛ فالتَّرغيبُ والوَعْدُ: أن يُذكِّرهُم بما أنعَم الله عليهم به، وعلى مَنْ قَبلَهم مِمَّن آمَـن بالرُّسـل في سَـائر مـا سَلفَ من الأيام؛ والتَّرهيبُ والوَعِيدُ: أن يُـذكِّرهُم بَـأْسَ الله وعذابَه، وانتقامَه مِمَّن كذَّب الرُّسل فيمـا سَـبقَ مـن الأمـم، مثل ما نَزل بعَادٍ، وثمُـود، وغيرهِـم مـن صُـنوفِ العـذاب؛ ليرغَبُـوا في الوَعـدِ فيُصَـدِّقوا، ويحـذَرُوا الوَعيـدَ فيتركُـوا التكذيبَ''؛ ونحو هذا الجمع بـين المعنـيين أيضًـا، مـا ذكـره الشيخ السَّعدي، فقد قال: ''ذكِّرهُم بنعَمِه عليهم، وإحسـانِه إلَـيهِم، وبأيامِـه في الأمـم المكـذبين، ووَقائِعِـه بالكـافِرينَ، ليشكروا نِعَمَه، وليحْذَرُوا عِقابَـه''.

١) مفاتيح الغيب ـ التفسير الكبير ـ فخر الدين الرازي.

ومن جانبٍ آخر، فقد شَاعَ إطلاقُ اسم اليوم مُضافًا إلى اسم شَخصٍ أو قبيلةٍ، ويُقصَد به حادِثةٌ معينةٌ، فيقال: أيامُ تميم، أي: أيام انتصَار قبيلة تميم على أعدائها، لأنَّ لفظَ (الأيام) في لسَان العرب مُستعملٌ للوقائع؛

وعن ابن زَيد في قوله تعالى: {وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ}، قال، أي: ''أيامُه التي انتقَمَ فيها من أهل مَعاصِيه من الأمَم السَّابقةِ، فقد خوَّفهم بها، وحذَّرهم إيَّاها، وذكَّرَهُم أن يُصيبَهم ما أصَاب الذين من قبلهم؛ ورَوَى نحو ذلك عن الرَّبيع، ومُقاتِل، وغيرِهِما، ومن ذلك يكون معنى (أيام الله): أي: أيامُ ظُهُورِ قُدرتهِ، وإهلاكِهِ الكافرين، ونُصْرَةِ أولياءَه فيها، وهو الظاهِرُ من الآية''.[1]

وفي جملة، فإنَّ مقاصِدَ القرآنِ العامَّة أن يكون المراد بذكر (الأيَّام)، هي الأحداث الزَّمنية الكبرى، والوقائع التاريخية العُظمى، فهي (الأيَّام) التي تختصِرُ تواريخَ الأمم،

١) تفسير التحرير والتنوير ـ ابن عاشور.

وترسِمُ ملامحها، وتُوجِّه مسَاراتِها، ويكـون فيهـا عِـبرةٌ لِمَـنْ يَعتَبر، فالتاريخ في جُملتِه، وفي جَوهرِهِ إنما هو (أيَّـامٌ وعِبَـرْ)، فهي الأيام التي تجلَّى فيها التَّـدخُّلُ المباشـر مـن اللهِ سـبحانه وتعالى في حيـاةِ القوم، كآياتٍ بيِّناتٍ فصَّلها لنا قرآنه العَظيم، في سِياق حديثِه عن كثير من هذه الأيام، التي منها:[1]

- يَـوْمُ أُحُدٍ: وهو يوم تَمْحِيصٍ وَابْتِلاءٍ؛ لِيَظْهَرَ أَهْلُ الإِيمَـانِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾.[2]
- يَوْمُ حُنَيْنٍ: فهُـوَ يَـوْمُ تَرْبِيَـةٍ وَتَهْـذِيبٍ وَنَصْـرٍ؛ لِـئَلا يَغْتَـرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِكَثْرَتِهِمْ، وَلا يَعْتَدُّوا بِقُـوَّتِهِمْ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾؛ (سورة التوبة ـ الآية: ٢٥).

---

١) د. جمال نصار حسين ـ **أيام الله، القرآن، التدخل الإلهي المباشر، الآيات، المعجزات**؛ (مدونة إلكترونية، التَّصَوُّف: ٧/٢٤).

٢) سورة آلِ عِمْرَانَ ـ الآية: ١٦٦ ـ ١٦٧.

- **يَوْمُ كَمَالِ الدِّينِ: فهو مِنْ أَعْظَمِ أَيَّامِ اللهِ على الأمَّةِ الإسلامية فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ الشريف: ففِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، أكمَل الله لنَا دِينَنَا، بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١).**
- **يومَ استِوائِه على العَرش: فقد عظَّمَ اللهُ يومَ استِوائهِ على العرشِ، وهو اليوم السَّابع من بعدِ إتمامِ خلقِ السَّماواتِ والأرض في ستَّةِ أيَّام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٢). فكان هذا يَومًا عظيمًا بإظهار قُدرته، وإحكام أمره، وبَسطِ سُلطانه، ونَشْرِ رحَمته على جميع خَلقه.**
- **كما عظَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى بعضًا من الأيَّام دونًا عَنْ غَيرِها تعظيمًا كبيرًا، حيث اختصَّها الحق سبحانه لنفسِه؛ وهي غَيرُ الأيام التي نعلمُها، ليس لها علاقة بالإنسَان،**

١) سورة المائدة ـ الآية: ٣.
٢) سورة الأعراف ـ الآية: ٥٤.

ولا يمكن مَعرفة كُنهِهَا، ولا الوقُوف على حقيقتِهَا، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.(١)

- وفي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.(٢)
- وقال أيضًا: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.(٣)

(صدق الله العظيم)

فإنَّ كلمةَ (يوم) في هذه الآياتِ الثلاث يمكن أن تَعني الأيام بمفهومها اللُّغَويِّ الدَّارج بين النَّاس، أو تَعني الامتدَادَ الزَّمني الطويل، وينبغي في هذا المقام أن تُفْهَمَ بمعنى الدَّوَرَاتِ الزَّمنية غير المحدَّدة، ولكنها تمتدُّ طويلا، وذلك دُونما مُصَادَمة

١) سورة الحج ـ الآية: ٤٧.
٢) سورة السجدة ـ الآية: ٥.
٣) سورة المعارج ـ الآية: ٤.

بين المعنيين، وبما يتناسَب مع سياق الآياتِ القرآنية السَّابقة، وهذا المفهوم أخذَ به المفسر أبو السُّعود، حيث قال:[1]

"فإنه ينبغي اعتبار تقسيم الحقِّ سبحانه وتعالى للزَّمن المتعلق بقُدرته إلى أيامٍ، أن يكون بمعنى (نوبَاتٍ)، أو بالمعنى الحقيقي لها، وهو الدَّورات الزَّمنية الطويلة، أو (الآجال)".

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآياتِ التي تتحدَّثُ عن بعض الأحداثِ مقرُونةً بكلمة (يوم)، منها:

قال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾.[2]

وقال أيضًا: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾.[3]

(صدق الله العَليُّ العظيم)

---

١) موريس بوكاي (الكاتب الفرنسي)، **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**؛ (حسن خالد، مفتي الجمهورية اللبنانية، مترجم، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤١هـ ١٩٩٠م)، ص١٦٦ ـ ١٦٨.

٢) سورة التوبة ـ الآية: ٣.

٣) سورة الأحزاب ـ الآية: ٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

(أيَّام اللّه مِنَ التَّورَاة)

لقد حاوَل الكثير مِنَ العُلمَاء، وبعضُ المفكرين مِنَ المسيحيِّين على مَدَى التاريخ التَّوفيقِ بين رَأْيَيْنِ يُفسِّرَان معنى أيامَ الْخَليقَةِ السِّتَّةِ، الواردَة في الكتاب المقدَّس، وَهُما:

- رأيٌ يقُولُهُ الكتابُ المقدَّس: أنَّ عمَلية الخلق تَمَّتْ في سِتَّةِ أيام؛
- ورأيٌ يقولُه العِلم: أنها أخذَتْ مَلايينَ السَّنينِ.

ومن هذه الآراءِ، ما يلي:[1]

١) الكتاب المقدس والعلم الحديث، أيام الخليقة الستة، معنى كلمة يوم في الكتاب، محاولات التوفيق في شرح أيام الخليقة الستة في الكتاب المقدس ـ موقع الكتروني بعنوان: موقع الأنبا تكلا هيمانوت.

https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Science-and-the-Holy-Bible/Bible-n-Science-٠٥-Creation-٠٣-Day-in-the-Bible.html

- **الرَّأي الأول**: وقد تبنَّاهُ العَلامة بِيتَر ستُونَر (Peter Stoner) في كتابه: **العلمُ يتكلَّم** (Science Speaks)؛ ويَذكُر أنَّ الخلقَ تم في فتراتٍ قصيرةٍ هي (أيامُ الخلق السِّتةِ)، وفصَلَ الله بين فتراتِ الخلق القصيرة بفَواصِلَ زمنية طويلةٍ تُمثِّلُ ملايين السِّنين؛ أي أنه بين كلِّ يومِ خَلْقٍ، ويَومٍ آخَرَ، يتوقَّفُ الله عن الخلق، ولكنْ عمليَّةُ الخلق تَحْدُثُ فجأةً وبسُرعة، وهذا ما يُوضِّحه التَّغيرُ الفُجَائيُّ بين طبقَاتِ الأرض المختلفة، وما تحتَويه من حفريَّات.

- **الرَّأي الثاني**: قال به (وليَمْ كِيلِي) في كتابه: **في البَدْءِ والأرضِ الآدَمِيَّةِ**، ويتركَّزُ في وجُود مجموعتين من الْخَليقَة: الأولى: ما ذَكَرَها العِلم تفصيلا في الأحقابِ الجيولوجيَّة، وأنها وُجِدَتْ على مدَى أحقابٍ زمنية طويلةٍ، وهذه الحياة انْدَثَرتْ بكامِلها؛ والثانية: خليقَةٌ جديدة ذُكِرَتْ تفصيلا في الكتاب المقدس بعد فناء الخليقةِ الأولى؛ وهي في عِدَّةِ أيام.

- **الرَّأي الثالث**: يفترضُ أنَّ أيامَ الخليقَةِ التي ذكَرَها الكتابُ المقدس لم تكُنْ مُدَّتها (٢٤ ساعة)، ولكنها كانت طويلةً جِدًا، فكان زمنُ اليوم يشمَلُ ملايين السِّنين، وأن الأيام الأربعة الأولى تُمَثِّلُ فترةَ ما قبلَ الكَامْبِري[1]، واليومُ الخامِسُ يشمَل حِقْبَتَيْ الحياةِ القديمةِ والوُسْطى، أمَّا حِقْبَةُ الحياة الحديثة فهي مقسَّمة إلى نصفَين:
  - ✓ الأول: يتمَشَّى مع اليوم السَّادس.
  - ✓ والثاني: يتوافق مع اليوم السَّابع.

---

١) فترة ما قبل الكامبري: هي حقبة من الحِقب الزَّمنية البعيدة في الزمن الماضي السَّحيق، وهو تقسيمٌ زمني من تقسيمات التاريخ الجيولوجي يشمل ٩٠% من الزمن الجيولوجي، ويُمثِّلُ المُدة الواقعة بين تكوُّن القشرة الأرضية، أي: منذ ٤٦٠٠ مليون سنة تقريبًا، حتَّى بداية الدُّور الكامبري من الحقبة الأولى، الذي بدأ منذ حوالي ٥٤٠ مليون سنة تقريبًا ـ (الموسوعة العربية، علم طبقات الأرض وعلوم البحار، المجلد الثامن، صفحة رقم: ٤٠٢)، وقد سُميت هذه الحقبة باسم كامبريا (Cambria)، وهو الاسم اللاتيني لمدينة (ويلز)، البريطانية، حيث وُجدَت بها أولُ أحجار من ذلك العصر التي تتميز بنسبةٍ مرتفعةٍ من الرَّواسب الأحفوريَّةِ التي تكونت خلال العصر الأول للزمن الجيولوجي للأرض.

• **الرَّأي الرَّابع**: يَعتَبِرُ أنَّ كلمَـةَ (يَـومٍ) في الكتـاب المقـدَّس رَمزيَّـةٌ، تُشير إلى مُدَّةٍ زمنية معينة، بغضِّ النَّظر عن الفـترة الزَّمنية التي تُشير إليها، فهي لا تَعني يومًا من (٢٤ ساعة)؛ فكمَا أنَّ لليوم مسَاءً وصـباحًا، أو بدايـةً ونهايــةَ، فهَكَـذَا الْحِقبَـةُ الزَّمنيَّةُ عند الله مهمَا طَال زَمَنُـها لها بدايةٌ ونهاية؛ فاليومُ هُنا لا يأتي بالمعنى الْحَرفي، ولكن بالمعنى الرَّمزي.

ويرى كاتب هذه الآراء، أن الرَّأيَ الرَّابعَ هـو الـرَّأيُ الصَّائبُ، بـدليلِ أن كلمـةَ (يـوم) في الكتـاب المقـدَّس، وإنْ كانتْ تعـني يومًـا محـددًا بأربعـةٍ وعشـرينَ سـاعةً في أغلـب الأحيان، إلا أنها في أحيانٍ كثيرة تأتي بمعانٍ كثيرة، إمَّا بالمعنى الدَّارج المعروف لليوم، وإمَّا في صُورةِ رَمزية لِليوم، منها:

أولا: أمثلةٌ لأيامٍ تعني أيامًا من (٢٤ ساعة):

١) الثلاثةُ أيامٍ التي قضَاها (يُونَانْ) في بَطنِ الحوت؛

٢) المائةُ وخمسُون يومًا الخاصَّة بالطُّوفانِ؛

٣) الأربعون يومًا التي قضَاهَا الجواسِيسُ في كنعَانَ؛
٤) الأربعون يومًا التي كان يظهَرُ فيها السَّيدُ المسيحُ لتلاميذِه بعد قِيامَتِهِ.

ثانيا: أمثلة لأيَّام رَمزية:

١) أيامٌ تُشير إلى المستقبل: اسْمَعْ يا إسرائيل، أنتَ اليومَ عَابِرٌ الأُردُن؛
٢) أيامٌ تُشير إلى ألفِ سنة: إنَّ يومًا واحدًا عند الرَّبِّ كألفِ سنة، وألفُ سنةٍ كيوم واحدٍ؛
٣) أيامٌ تُشير إلى الحياةِ الدُّنيا: وَاسْكُنْ في بيتِ الرَّبِّ مُدَّةَ الأيَّام؛
٤) أيامٌ تُشير إلى الأَبدِ: أحكامُكَ تُثْبِتُ اليومَ، فأحكامُ الله ثابتةٌ إلى انقضَاءِ الدَّهرِ؛
٥) أيامٌ تُشير إلى نهايةِ العَالم: فإنَّ لِرَبِّ الجنُودِ يومًا على كلِّ مُتَعظِّمٍ، وعلى كلِّ مُرتفِعٍ فيُوضَع، فهو ذَا يَأتي

اليومُ الْمُتَّقِدُ كالتَّنورِ، وكلُّ الْمُستكْبرينَ وكلُّ فاعِلي الشرِّ يكُونُوا قَشًّا، ويَحْرِقُهُم اليومُ الآتي.

ومما يؤكد هـذه النظريـة، أن الكتـاب المقـدَّس يَـذْكُر عبارة: (وكانَ مسَاء، وكان صبَاح)، لكـلِّ الأيـام فيمَـا عَـدَا اليوم السَّابع؛ وهذا يعني أن أيامَ الخلق كلها لها بدايةٌ ونهايـةٌ، وأمَّا اليوم السَّابع فقد بَدَأ ولم يَنْتَـهِ إلى الأبد؛ فهو طويلٌ جدًا يمتدُّ منذ خليقَةِ آدم، وحتى نهاية العَـالَمِ، وبالتَّـالي يمكننـا أن نتوقعَ ما تُشير إليه عِبارَة (يوم) في أيامِ الخلق مِنْ طُـولٍ، قـد يمتدُّ لآلافِ، أو ملايين السَّنوات.

بسم الله الرحمن الرحيم

(أيَّام الله بالنِّسبة للإنسَان)

تختلف أيام الإنسَان عن أيَّام الله سبحانه وتعالى السَّابق بيانُ بعضِهَا، حيث إنَّ أيَّامَ الإنسانِ تُبْرِزُ مراحِلَ وجُودِهِ في هذا الكون، فهيَ تبدأ منذ النَّشأةِ الأولى، وتَستَمرُّ حتى مثوَاهُ الأخير، ومِنْ ثُمَّ مُستقرُّهُ في الآخرَةِ.

ويمرُّ الإنسان بخمسَةِ مراحلَ متفرِّقةٍ طِوالَ هذه الفترةِ الزَّمنية من حياتِهِ، كلُّ مرحلةٍ من هذه المراحل تُسمَّى (يومًا)، ذكَرَ منها الحقُّ سبحانه وتعالى بالتَّصريح ثلاثَ مراحِلَ حكايةً عن مُعجزة خلقِ سيدنا عيسى عليه السَّلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[1]، وهذه الأيَّام الثلاثة ليسَت قاصِرَةً على نبيِّ الله عيسى عليه

١) سورة مريم ـ الآية: ١٥.

السلام فقط، وإنَّما هي خاصَّة بجميع البَشر، حيث يقع عليها مَدَارُ الاختبَار الرَّبَّاني عن أعمال الإنسان في الحياة الدُّنيا، وتحقيق نوعِ الجزاء الإلهيِّ له في الآخرَة.

ويُضاف يومَان آخرَان إلى هذه الأيامِ الثلاثة، هُمَا يومُ النَّشأةِ التُّرابيةِ الأولى في عالم الذَّرِّ، عندما كان الإنسان في ظهر آدم عليه السَّلام، ويومُ التَّكوينِ في بطن الأمِّ، وقد ذكَر القرآن الكريم هاتين المرْحلتين بصيغة الإشارة في سِياق آيةٍ واحدة مِنْ قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[1] وبذلك يُصبحُ مجمُوع (أيَّام الله)، بالنِّسبة للإنسان خمسة أيَّام مُتتاليَاتٍ في نَسَقٍ واحد.

وعند معرفة حقيقةِ هذه الأيَّام، فإنه يمكن للإنسان التَّعرُّفُ على الخالق العظيم حقَّ المعرفةِ، وإحداثِ الصِّلة الدائمة بينه وبين ربِّهِ طِوال حياته، إذ أنَّ هذه الأيام تُجَسِّدُ

١) سورة النجم ـ الآية: ٣٢.

طبيعةَ العِلاقةِ بين الخالق وبين الإنسانِ المخلوق، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يَتجلَّى فيها على الإنسان في حالتين:

❖ إمَّا جِهارًا وكِفَاحًا: وذلك عندما كان في عالم الذَّرِّ، وعندما يكون في الآخرة؛

❖ وإمَّا مِنْ وراءِ سِتْرٍ وحِجَابٍ: كما هو الحال في مراحِله الأخرى، التي هي في أيَّام الحياة الدُّنيا الثلاث.

(وهذه الأيام الخمسَة كما يلي:)

اليوم الأول: (يوم ألَسْتُ برَبِّكم):

وهو أول مراحِل الإنسان في الحياة، منذ أن خلقَ الله سيدنا آدم عليه السَّلام، وكان يحمِلُ في صُلبه أصُولَ ذُرِّيتهِ من جميع الخلق، فكان لابُدَّ من حُدوثِ لقاءٍ جامعٍ شامِلٍ بين الخالقِ وهذه الذُّريَّةِ المخلوقة في نشأتها الأولى حتى تتعرَّفَ إلى خالقها بالمشاهدة العِيانيَّة قبل هبوطها إلى الأرض، ولكَي يتحقق الإيمان اليقينيِّ بالخالق عن بصِيرةٍ ثاقبة، وسَمَاع آذانٍ

واعيةٍ، فيكون نتاجُها تحقُّقُ العبُودية الكاملة بين العَابد والمعبود فيما بعد؛ وقد وصفَ الحقُّ سبحانه هذا اللقاء الأزَليِّ في إحدى آيات القرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.(١)

وفي هذا اللقاءِ الجامِع شاهَد الإنسان خالِقَه عَيانًا، وخاطبَه جِهارًا، واعترفَ له بالعبُودية الكاملة، وشَهدَ الجميع قائلين: (بَلَىٰ شَهِدْنَآ) فثبتَ إقرَارُهُم بالمعرفةِ الحقَّة بربِّهم، الذي خلقَهُم؛ وبذلك يكون الإنسان قد حَمَلَ على عاتقه الأمانةَ التي عرَضَها الله عليه فقبِلَها، وتحمَّل أعباءَها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾؛ (سورة الأحزاب ـ الآية: ٧٢)

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ١٧٢.

وهذه هي المرحلة الأُولَى من مراحِل الإنسانِ في النَّشأة البرزَخِيَّة، وتُعرف باسم (يوم أَلَسْتُ)، وهو اليوم الأول من أيام الإنسان بالنِّسبة إلى الله سبحانه وتعالى.

اليوم الثاني: (يوم بَطن الأم):

ثم يكون اليوم الثاني بالنسبة للإنسان عند النَّشأة الدُّنيوية التي تبدأ منذ تكوين الجنين في بطن الأمِّ، وتُعتبرُ هذه المرحلة نشأةً ثانيةً بعد النَّشأة البرزَخِية الأولى، التي كانت من التُّراب، وقد فصَّل الحق سبحانه وتعالى هاتين النَّشأتين في سياق قرآني كريم، يشرَحُ مراحِل تلازُمِهمَا وتعاقُبِهما كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1]

١) سورة المؤمنون ـ الآيات: ١٢ ـ ١٤.

وفي هذه المرحلة، يَظلُّ الإنسَان في بطن أمِّهِ يتقلَّب في أطوار متعدِّدةٍ، حتى يتمَّ تكوينه بالصُّورة التي أرادَها الحقُّ سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]

وبعد اكتِمَال التَّكوينِ وتمامِ التَّصوير، يُصبح الإنسانُ صالحا للانتقال إلى المرحلة التَّالية من مراحل حياته، فيكون يومُ الميلاد بدايَةً لليوم الثالث من أيام الإنسان وعِلاقتِه بربِّه.

اليوم الثالث: الميلاد، (يوم الدُّنيا):

يبدأ يوم الدُّنيا مِنْ لحظة الميلادِ وتستمرُّ إلى نهاية الأجل المعلوم، ويُعتبر يومُ الميلادِ بدايةً لِمَسيرَةِ الإنسان في الحياة الدنيا، وفيها يكون التكليف والعمل من أجل العيش، فيَحدُث الصِّراعُ بين محاولة الإنسان الوفاءِ بالعهدِ السَّابق، وبين مشاغل الحياة التي تعترضُ طريقَه، ويتجدَّدُ هذا الصِّراع

١) سورة آل عمران ـ الآية: ٦.

دومًا عند محاولة استيفاء حقِّ الأمانة التي حملها الإنسانُ يومَ النَّشأة البرزَخية الأولى، (يوم أَلَسْتُ)، وبين العملِ الدُّنيويِّ في مطالب العَيش التي لا تتحقَّقُ تحقِيقًا كاملا إلا بتحصِيل معنى العِبَادةِ الحقَّة لله، فقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[1]

ذلك الاسْتِخلافُ في الأرضِ، وهذا التَّمكينُ الذي ارتضَاهُ الله لعبادِهِ ليس مَقصودًا لذاتِه، وإنما المقصُود منه هو إقامَةُ الأوامر الشَّرعية، والوَفاء بحقِّ الرُّبوبية، والأداءُ الكامل لواجباتِ العبُودية، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾؛ (سورة الحج ـ الآية: ٤١)

---

١) سورة النور ـ الآية: ٥٥.

وتتلخَّصُ تلك الأوامر الشَّرعية، وأدائها في الحياةِ الدنيا في ثلاثة مطالبَ رئيسَةٍ، هي:

(العِلم، والعَمل، والعِبادة).

- **فأمَّا العِلم:** فإنه مهما تعدَّدت العلوم والمعارف الدُّنيوية، فإن أسمَى مطلوبٍ من الإنسان هو معرفةُ خالقِه عزَّ وجلَّ والعِلمُ بمرادِه، فقد قال الإمام ابن رجب رحمه الله: أفضلُ العِلمِ، العلمُ بالله؛ وهو العِلم بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، التي تُحقِّق لصاحبها: مغفرةَ الله، وخشيته، ومحبته، وهيبته، وإجلاله، وعظمته، والتَّبتل إليه، والتَّوكل عليه، والرِّضَا بقضائه، والصَّبر على بلائِه، والانشِغال به دُون خَلقه، فهذا هو العِلم النَّافع، وثمرَتُه خَشية الله تعالى، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[1]؛ وقال ابن مسعُود وغيرُه: كفى بِخَشْيَةِ الله عِلمًا، وكفَى بالاغْترارِ

١) سورة فاطر ـ الآية: ٢٨.

بالله جهلاً؛ ودلالَةُ هذه الآيةِ الكريمةِ عَلَى أنَّ مَنْ خشِيَ الله وأطاعَه، وامتثل أوامِرَه، واجتنبَ نواهيه، فهو عالِمٌ؛ لأنّه لا يخشَاهُ إلا عالِمٌ[1].

• **وأمَّا العمَل**: فقد أَوْجَزَ الحقُّ سبحانه مُهِمَّةَ الإنسانِ في الأرض في كلماتٍ مَعدوداتٍ، بقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2]؛ واستعمَارُ الأرضِ يَعني كافة الوسَائل المؤدِّية إلى عِمَارتها، وتمهيدِها للسُّكنى بأكمل وجه، تحت مِظلَّةِ العهد السَّابق، والتكاليف الشَّرعية التي يبعثها الله إلى عبادِهِ عَبْرَ الرُّسُل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[3].

---

١) الحافظ أبي الفرج بن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي، **المجموعة العلمية من رسائل ابن رجب الحنبلي**؛ (تحقيق وجمع: سامي بن محمد بن جاد الله، وعبد العزيز بن ناصر الخباني، نشر: دار المحدث للنشر والتوزيع، ودار الأوراق للنشر والتوزيع).

٢) سورة هود ـ الآية: ٦١.

٣) سورة الملك ـ الآية: ٢.

وقد أكَّدَ الحقُّ سبحانه وتعالى أنَّ عملَ الإنسانِ في الدُّنيا ليس بعيدًا عن رُؤيةِ الله والرَّسُولِ وسَائر المؤمنين، لتكُون المحكمَةُ الإلهية في الآخرة مُكتمِلَةَ النِّصَابِ، وبكَامِلِ هَيأتِهَا، من المحكُومِ عليهم، والشُّهودِ، أمام أحكَمِ الحاكِمِينَ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[1].

كما اختصَر الحقُّ سبحانه وتعالى الجزاءَ الذي سَينالُهُ العبدُ نظِيرَ عملِه في الحياة الدُّنيا، ونتيجةَ حُكم المحكمَةِ الإلَهيَّةِ في الآخرة، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[2].

(صدق الله الحَكَمُ العَدل).

١) سورة التوبة ـ الآية: ١٠٥.
٢) سورة الزلزلة ـ الآيات: ٧ ـ ٨.

• **وأمَّا العِبَادة: فهي المهمَّةُ الرَّئيسَةُ الموكُولةُ لكافةِ الخلق كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، ثم خاطبَهم الحقُّ خِطَابًا مباشرًا، مُجَدِّدًا لِذلكَ الخطابِ الأزليِّ السَّابقِ، فقال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2]؛ وقوله سبحانه: (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)، ذلك لِمَا عليه طبعُ الإنسانِ من دَاءِ النِّسيَانِ، فهي صِفةٌ أزليَّةٌ فيه، منذ آدم عليه السَّلام، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[3]؛ ولذلك تكرَّر إرسَالُ الرُّسلِ إلى كافة الأمم السَّابقة رحمةً من الله ورأفةً بعبادِه، حتى لا يكونُوا فريسَةَ النِّسيانِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم**

---

١) سورة الذاريات ـ الآية: ٥٦.
٢) سورة يونس ـ الآية: ٣.
٣) سورة طه ـ الآية: ١١٥.

مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]، ولذلكَ، فإنَّ الإنسانَ يستَمرُّ في الكدِّ والتَّعبِ، طالِبًا منه الحقُّ سبحانه وتعالى التَّمسكَ بعبادَتِهِ حتَّى يأتيه الأجَلُ، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[2]؛ واليَقينُ: (الْمَوْتُ)، فتنتهي به الحياة الدنيا، وينتقل إلى الحياة البرزخيَّة الثانية، التي هي اليوم الرَّابع من أيام الإنسان في علاقتِه بربِّهِ.

اليوم الرَّابع: (يوم الوَفاة):

ثم يكون رابعُ الأيام بالنسبة للإنسان هو يوم الوفَاةِ ومُغادرتِهِ لهذه الحياة الدُّنيا، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[3]؛ وذلك بعد أن يكون قد اسْتَوفَى أجلَه، قال تبارك وتعالى:

١) سورة النحل ـ الآية: ٣٦.
٢) سورة الحجر ـ الآية: ٩٩.
٣) سورة آل عمران ـ الآية: ١٨٥.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]؛ وتُعتبر الوفاةُ مَرحلةً انتقاليَّةً ينتظر فيها الإنسان قيامَ السَّاعةِ، فهي حياةٌ برزَخيةٌ ثانيةٌ يعيشُها الإنسان كمَا كان في الحياة البرزَخيةِ الأولى منذ يوم العهد (ألستُ بربِّكم) وفي هذا اليوم يكون التَّجلي الإلهيِّ للإنسان كِفاحًا لانتفاءِ الجسدِ الطِّيني، ويتبقَّى من الإنسان: العقلُ، والرُّوحُ، والنَّفسُ.

اليوم الخامس: (يوم الحَشر):

وأخيرًا يكون اليوم الخامسُ من أيَّام الإنسانِ وعِلاقتِهِ مع ربِّه في (يوم الدِّينِ)، أو يوم البَعثِ والنُّشُور، وَفيهِ إمَّا خلُودٌ في الجنة، وإمَّا خُلودٌ في الجحيم، ويُبعثُ الإنسان مُكتَملاً بعناصِرِهِ الكليَّةِ من: الجسدِ، والعقل، والرُّوح، والنَّفسِ، مثلمَا كان في الدُّنيا، ويكون التَّجلي الإلهي للإنسان في هذا اليوم كِفَاحًا رُغْمَ اختلاف بِنْيَةُ الأجسادِ وتكوينها، وقد جمع

١) سورة يونس ـ الآية: ٤٩.

الله سبحانه أطوارَ الإنسانِ في الحياةِ الدُّنيا في آيةٍ واحدَةٍ، بإيجازٍ دقيقٍ، وشَرحٍ عَمِيقٍ، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾[1].

ويومُ القيامة، هو اليوم الخامِس والأخير من أيَّام الإنسان وعِلاقته مع الله سبحانه وتعالى، ويُعتَبر هذا اليوم أهمُّ أيامِ الإنسان جميعها، إذ يتشكَّلُ في أحداثه وأحواله نهايَةُ الإنسانِ المحتومةِ، ويتحقَّقُ فيه مصيرُه ومآلُه، إمَّا بالسَّعادَةِ، وإمَّا بالشَّقاءِ، ولذا جاء شرحُ يومِ البَعثِ، أو يومِ النُّشُورِ، أو(يوم الحشرِ)، في القرآن الكريم منفردًا في عدَّة آياتٍ كريمةٍ،

١) سورة الحج ـ الآية: ٥.

وذلك لعظيم أَمْرِه، وعَزيزِ قَدرِهِ، ومَهابَة ذِكْرِهِ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1].

وفي الختام، فإنَّ كلَّ ما سَبق مِنْ سَردٍ للأفكَارِ، وعَرضٍ للأحداثِ، وتحليلٍ للمعاني، وتنسِيقٍ للكلمَاتِ والمباني، واسْتِشْهَادٍ بالآراءِ، واسْتِدْلالٍ بأقوالِ الحكمَاءِ، فذلك مِنْ أجل تحقيقِ مفهوم (أيَّام الله) الخمسة بالنسبة للإنسان؛ وقد أَجْمَلَه الحقُّ سبحانه في آيةٍ واحدَةٍ من خمسِ كلماتٍ أيضًا، ترسِمُ حياةَ الإنسانِ وكأنها لمحةٌ كَلَمْحٍ بالبَصَر، أو أنَّها طيفُ خيالٍ، أو أقلُّ من ذلكَ، فقد قال سبحانه:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2].

(صدق الله العظيم)

---

١) سورة هود ـ الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥.

٢) سورة المؤمنون ـ الآية: ٧٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

(أيَّام اللّه وأركانُ الإسلام)

إذا تَأمَّل العبدُ مسيرةَ الإنسان خِلالَ الأيام الخمسةِ الْمَذكورة سابقًا، منذ التكوينِ الأوَّلِ من التُراب وظهُورِه في عالم الذَّرِّ يوم الخطابِ الأزليِّ، وحتى النهايةِ الحتميَّة والمصير الأبديِّ، يجد أنها أطوارٌ متعلقةٌ بيدِ الحقِّ سبحانه وتعالى، مرسُومةٌ بدقةٍ عاليةٍ، مُقدرةٌ بحكمةٍ بالغةٍ، تسير وِفْقَ قانونٍ ربَّاني مُحكم سَديدٍ، يظلُّ ساريًا طوال هذا الأمَدِ البعيدِ، تتلقاهُ أيامُ الله بأحداثها، ولا دَخْلَ له في تغييرها، أو تعديلِ مسَارِهَا، عندئذٍ يعلم يقينا أن الأمرَ كلَّه بيدِ الله، فيُسْلِمُ القيادَ إلى خالقه، ويتبرَّأُ من حولهِ وقوته، ويسعَى باحثًا عن الأَمْنِ والسَّلام، فلا يجدُ مأوًى ولا ملجَأ إلا في حضرةِ السَّلامِ، سبحانه وتعالى عمَّا يصفُون علُوًّا كبيرًا، عندئذٍ يعلمُ يقينًا معنى قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]؛ فيُسرعُ العبدُ إلى اتِّباع رِضْوانِ ربِّهِ، والتَّمَسُّكِ بأنوارِ قرآنِه، والتَّحصُّنِ بأحكامِ كتابِه، فيَهْدِيَهُ الله سُبلَ السَّلام، وينعَمُ مع الذين قالَ الحقُّ سبحانه وتعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[2]؛ وبعد أن يُسلِمَ العبدُ المؤمن وجهَهُ لله ويتَّبع مِلَّةَ سيدنا إبراهيم عليه السَّلام، يدخل في نطاق قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾[3]؛ فَيظلُّ هذا العبدُ يتَحرَّى رَشَدًا عمَّا هو مذكُورٌ مِنْ أيَّام الله وما علاقتهَا بإسلام الوجه لله، فيتجلَّى الله عليه بتجلِّياتٍ متعدِّدَةٍ تبعًا لاختلافِ زمانه،

---

١) سورة المائدة ـ الآية: ١٥ ـ ١٦.

٢) سورة النساء ـ الآية: ١٢٥.

٣) سورة الجن ـ الآية: ١٤.

وتغَـيُّرِ أحواله، وتتـابُع أيامـه، وذلـك وفقًـا لقولـه سـبحانه وتعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]؛ وتظلُّ هـذه التَّجليـاتُ الإلهيَّـةُ تتوالى على العبدِ في خمسةِ تجلياتٍ مختلفةٍ عـن غيرهـا في كـلِّ يومٍ من أيام الله الخمسةِ التي يمر بها طوال حياته، فترشِدُهُ إلى الحبلِ المتينِ الذي يربطُ بين أيـام الله وبـين أركـان الإسـلام، فتُحْكِمَ الرِّباطَ بـين أيـام الإنسـان، ومـا يُقابلـها مـن أركـانِ الإسلام الخمس؛ فتُصبحُ كلُّ أوقاته موصُولةً بتجليـاتِ ربِّـه سبحانه وتعالى، التي تنهَلُّ عليه خـلال تتَـابُع أطـوارِ حياتـه، وتَصيرُ جميعُ أيامهِ أيامًا لله تعالى، على النَّحو التالي:

اليوم الأول: (يوم ألَسْتُ بربِّكم في عَالم الذَّرِّ)؛ يقابله: (الشَّهادتان)

حيث إن أوَّلَ رُكنٍ مـن أركـان الإسـلام هـو النُّطـقُ بالشَّـــهادتين، (**أشـهد أن لا إلــه إلا اللّه، وأن محمَّــدًا**

١) سورة الرحمن ـ الآية: ٢٩.

رسول الله)؛ ولا تكون الشَّهادةُ صَحيحةً بدون مُشاهَدة، وهذا الإقرار بالشَّهادتين يؤكِّد أن الشَّهادةَ صَحيحةٌ ناتجةٌ عن المشاهدة العِيانِيَّة للحقِّ سبحانه وتعالى، لأنه تجلَّى على سَائر خلقه في يوم **(ألستُ بربِّكُم)**، وأشهدَهم على أنفسهم، فأقرُّوا بالشَّهادة، وذلك بعد ما شَاهَدُوهُ حقًّا وصِدقًا، فقالوا: **(بلَى شَهدنا)**، وإن لم تحدُث تلك المشاهدَةِ الحقيقية فلا يصحُّ الإقرارُ بهذه الشهادة مطلقًا.

ورُؤيةُ الحقِّ سبحانه وتعالى كِفاحًا وعِيانًا من البشَر، تُفهَمُ من سِياقِ الآية الكريمةِ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[1]؛ وهذه الشَّهادةُ تعني الاعتقادَ الجازمَ الْمُعَبَّرُ عنه باللِّسان، بأنَّ الله سبحانه هو ربُّ العبادِ وخالقُهم، ولا ربَّ سِواهُ.

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ١٧٢.

ويؤكد هذه الرُّؤية العِيَانِيَّة من البشر لله سبحانه وتعالى في هذا الموقف المشهود، الحديث النبوي الذي ورَدَ عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم، بقوله:[1]

''إنَّكم ـ أيُّها الْمُؤمِنونَ ـ ستَرَوْنَ رَبَّكم يَومَ القيامةِ كمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، رُؤيَةً مُحقَّقةٌ لا شَكَّ فيها''؛

وفي رواية أخرَى: ''لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ''[2].

وأمَّا الجزءُ الثاني من الشَّهادةِ، وهو قولنا:

(وأنَّ سيِّدنا محمدًا رسُول الله)

فهي تعني أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم، هو الرَّسول الْمُبلِّغ عنِ الله، تَجِبُ طاعتَه في كلِّ ما أمَرَ، وتصديقُه فيما أخبر، واجتنابُ ما نهى عنه وزَجَر، وأنَّ العبدَ لا يعبدُ الله إلا بما شرَعَ رسُول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد جُعِلت هاتان الشَّهادتان ركنًا واحدًا من

١) الحديث رواه جرير بن عبد الله ـ صحيح البخاري ـ (رقم ٥٥٤).
٢) معنى: "تضَامُّون": أي: تتزاحمون لرؤيته.

أركان الإسلام، رُغم تعدُّدِ المشهودِ به، لأنَّ الشَّهادَتين أساسُ صِحَّة أعمال الإنسان في الحياة الدنيا.[1]

وقبل الانتقال إلى اليوم الثاني، يمكن التَّعرُّضِ إلى سُؤالين مُهمَّين في هذا المقام، هما:

الأول: لماذا قال الله سبحانه وتعالى: (ألستُ بربكم)، ولم يقل: (ألستُ بإلهكم)؟[2]

الثاني: كيف اقترَنَتْ الشَّهادة بأن سيدنا محمدًا رسُول الله بشهادَةِ الله قبل وجُودِ الخلقِ أجمعين، وقبل وجودِهِ صلى الله عليه وسلم؟.

---

١) محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، **الطريق إلى الإسلام** (دار ابن خزيمة الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية)، ص٤٨.

٢) سبق في الفصل الأول بحث الفرق بين (الرَّب) و(الإله) من حيث أنَّهما اسمان للذَّات الإلهية ومن جانب المعنى اللغوي فقط؛ أمَّا هنا، فسوف يتم التَّعرُّض إليهما من حيث أنهما مرتبتين للذات الإلهية، من جانب مفهوم مرتبتي: (الرُّبوبيَّة) و (الألوهيَّة) ومتطلبات كل مرتبة منهما، ومتعلقات مرتبة الرُّبوبية في الإنشاء والإيجاد والعطاء، ومتعلقات مرتبة الألوهية في العبادة والتوحيد والإيمان، والبعض يرى أن هذه المراتب من الصفات الإلهية.

أمَّا إجابة السؤال الأول، وهو أنَّ الله أشهدَ الخلقَ على أنفسهم قائلا: (ألستُ بربِّكم)، وليس (بإلهكم)، ذلك لأنَّ الله سُبحانه وتعالى، من حيثُ العِبادةِ، له مَرتبتَان: مرتبة الرُّبوبية، ومرتبة الألوهية:[1]

- فأما مرتبة الرُّبوبية: فتتضمَّنُ خَلْقَ العبدِ ومُبتدَاهُ:

فإنَّ الله هو الذي خلقَ الإنسانَ، ويُرَبِّيهِ، ويتوَلاهُ من حيثُ الأمورِ المتعلِّقةِ بحياته من عَطاءٍ، وإحياءٍ، ورزقٍ، وهِدايةٍ، ومَنحِ الثوابِ، وإنزالِ العذابِ، ولذا عَلِمَت النُّفوسُ البشرية بحاجتِها وفَقْرِها إلى الرَّبِّ قبلَ عِلْمِها بحاجتِها وفَقْرِها إلى الإلهِ المعبودِ، فكان إقرارُها باللهِ مِن جِهةِ رُبوبيَّته أسبَقَ من إقرارِها به من جِهةِ أُلوهِيَّتِه، وكان الدُّعاءُ له، والاستِعانةُ به، والتوكُّلُ

١) مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العقدية**، (الكتاب الثاني: الإيمان بالله، الباب الثاني: توحيد الألوهية، الفصل الأول، المبحث الثاني: الفرق بين اسمي: الرب والإله).

عليه، أكثرَ مِن العِبادَةِ له، والإنابةِ إليه سبحانه وتعالى، ولذا كان أوَّلُ ما جاءَ في قَولِ آدَمَ وزَوجُه السيدة حواءَ، عليهمَا السَّلامُ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1]؛ كذلك من حيث طلبِ المغفرةِ والهدايةِ الرَّبانية، كما طُلِبَ من سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم أن يُعلِّمَنا إيَّاها: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وحقيقةُ (الرُّبوبية) في القرآن الكريم تقُوم على رُكنَينِ:

✓ **الرُّكن الأول:** إفرَادُ الله بإيجادِ الأشياءِ حالاً فَحَالاً إلى حَدِّ التَّمَامِ، ثمَّ الإماتَةِ، والإحياءِ.

فقد قال الله سبحانه وتعالى عن سيدنا موسى عليه السَّلام وهو يُبيِّن حقيقةَ الرُّبوبيةِ لفرعَونَ عندما سَأله عن ربِّه،

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ٢٣.

٢) سورة الأنعام ـ الآية: ١٦١.

وعن مصيرِ القرُون الأولي، فقال: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1].

✓ **والرُّكن الثاني**: إفرادُ الله بالخلقِ والأمرِ والتَّدبيرِ.

فالرَّب هو خالقُ الموجُوداتِ جميعها، والقائِمُ على أَمْرِ تَسْيِيرها وتنظيمها وإصلاحِهَا، والْمُتكفِّلُ بتدبير أمورِهَا؛ يقول الله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]؛ وكان هذا عن مَرتبةِ الرُّبوبيةِ.

---

١) سورة طه ـ الآية: ٥٢ ـ ٥٥.

٢) سورة الأعراف ـ الآية: ٥٤.

• أمَّا مرتبةُ الألوهية: فإنها تتضمَّنُ غايةَ العَبدِ ومُنتهَاهُ: فالمقصُود من الخلق هو عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريك لـه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]؛ وكانت فاتِحـةُ دَعوةِ جميع الرُّسُلِ الأمرُ بعِبادةِ الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]؛

وفي الحديث النَّبوي الشَّريفِ، عن أنس رضي الله عنه، أن رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال:

''أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلااللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ''[3].

---

١) سورة الذاريات ـ الآية: ٥٦.
٢) سورة النحل ـ الآية: ٣٦.
٣) صحيح البخاري، عن أنس رضي الله عنه.

وخلاصة مفهوم هاتين المرتبتين ومضمُونِهما، هو:

- الرُّبوبية: عطاءٌ، وهُدى، وتربية.
- الألوهية: عبادةٌ، وتكليفٌ، وتشريعٌ.

وبالجمع بين مرتبتي (الرُّبوبية) و(الألوهية)، يتجسَّد معنى حقيقة التَّوحيد.

وكما كان الجمع بين الاسمين في الفصل الأول، يدُلُّ على **(عين التَّوحيد)**، كان الجمع في هذا الفصل بين هاتين المرتبتين إشارة إلى: **(حقيقة التَّوحيد)**.

ومن ذلك يتضحُ أنَّ علاقةَ الإنسانِ مع الله لَنْ تخرج عن تِلكُمَا المرتبتين، لأنه سبحانه وتعالى يعلمُ أن هناك صِنفان مِنَ الناس:

- صِنفٌ يُلَبِّي نداءَ الرُّسُل فيُؤمِنْ، وبذلك يحظَى بنعيم مرتبة الألوهية، بجانب تمتعه بعطاء مرتبة الرُّبوبية؛
- وصِنفٌ يسمع النِّداء فلا يؤمن، فيخرُج عن نطاق الإيمان بالكليَّة، إلا أنه يظل ينعم بعطاءِ مرتبة الرُّبوبية.

وقد شرح القرآن الكريم خلاصَةَ مضمونِ هاتين المرتبتين، وبيانِ مصير هذين الصِّنفين من البَشر، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[1]؛

فهذه الآية الكريمة، تُبيِّنُ أحوالَ هذين الصِّنفين من الناس، فالذين كفرُوا سينعمُون بعطاءِ الرُّبوبية فقط، سَواءٌ في الدنيا بتقلُّبهم وتمتُّعِهم في البلاد، أو في الآخرة بِخُلودِهم في العذابِ المهين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾[2].

أمَّا أولئك الذين جمعُوا بين مَرتبتي: (الرُّبوبيَّة)، و(الألوهية) معًا، فإنهم تحقَّقوا بحقيقةِ التوحيدِ، يعبدُون الله حقَّ عبادته، مؤمنينَ بأنه (الإله) الذي يستحقُّ أن يُعبَدَ، وفي

١) سورة محمد ﷺ ـ الآية: ١٢.
٢) سورة آل عمران ـ الآية: ١٩٦ ـ ١٩٧.

ذات الوقت، يؤمنونَ بأنه (الرَّبُّ) الـذي خلقَهـم وسَـوَّاهم، فتنَعَّمُوا بعطاءِ المرتبتين معًا، وقد ذكرَهُم الله سُبحانه وتعـالى في القرآن الكريم، وشرح أحوالهم في بيانٍ بديع، وإيجازٍ بليغ، من قوله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]؛ فتكلَّم الله عنهم في الحالتين:

- ✓ لَمَّا تحدث عنهم فى أمرٍ واجبٍ عليهم بـالتكليف، قـال: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ (اللهَ)؛
- ✓ وعندما تكلَّم عن أمرٍ مُتعلِّق بخلقِهم وطلَبِ المغفرَةِ منهم جاء بكلمةِ (ربَّنا)، وهذا هو عينُ التوحيدِ وحقيقَتُه.

ومن الآيات التي تجمَع بين مرتبتي الرُّبوبيةِ والألوهيَّـةِ في القرآن الكريم، قوله تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ

١) سورة آل عمران ـ الآية: ١٩١.

ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[1].

فحيث كان سيدنا موسى فى بداية لقائهِ مع ربِّهِ مُحتاجٌ إلى من يُهدِّءُ له نفسه، ويُذهِبُ عنه خَوفه، ناداهُ الله سبحانه بقوله: (إنِّي أَنا رَبُّكَ)؛ ليُبيِّنَ له نِعمَه العدِيدَةِ التي أنعَم بها عليه مِنْ عطَاءِ مرتبةِ (الرُّبوبيَّة)، سَواءً برعايتهِ وكلامهِ وحفظهِ منذ أن كان رضِيعًا، وحتى أن جاءَهُ وكلَّمه.

ثم لما جاء وقتُ الوحي بالأوامرِ التَّعبُّدية، والتَّشريعِ، والتكليفِ، نادَاهُ بقوله: (إِنَّنِي أَنَا اللهُ)، إيذانًا بأنَّ هذا العملَ مطلوبٌ لمرتبةِ (الألوهية)، التي هي له سُبحانه من حيثُ: حُسنِ الإيمانِ، وإتقانِ العبادةِ له وحدَه، دونَ سِواه[2].

هذا ما كان من إجابة السؤال الأول، حول قوله تعالى: (ألستُ بربِّكم)، وليس (بإلهكم).

---

١) سورة طه ـ الآيات: ١١ ـ ١٤.
٢) زهرة التفاسير ـ في تفسير سورة طه.

أمَّا إجابة السُّؤال الثاني، بأننا نشهدُ بـأنَّ سـيدنا محمـدًا رسُول الله، قبل وجُودِ الخلق أجمعين، فذلك لأنَّ وجُودَه صلى الله عليه وسلم غير وجُـودِ الخلـقِ، بـل كـانَ قبلـه بأزمانٍ كثيرةٍ، فقد روَىَ عبد الرَّزاق بسندِهِ عن جابرِ بن عبد الله الأنصَاري قال: ''قلتُ يا رسُولَ الله، بأبي أنتَ وأمِّـي، أخْبِرْنِـي عـنْ أوَّلِ شَـيءٍ خَلقَـهُ الله تعَـالى قبـلَ الأشيَاءِ''، قال: ''يَا جَـابِرُ، فـإنَّ الله تعَـالى خَلَـقَ قَبْـلَ الأشياءِ نُورُ نبيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فجَعَـلَ ذلـكَ النُّـورُ يَـدُورُ بالقُدْرَةِ حيثُ شاءَ الله تعَالى''؛ ...الحديث[1].

وبعد الإقرار بتلكَ المشاهدَةِ، ينتقلُ الإنسانُ إلى الطورِ الثاني، وهو بدايةُ النَّشأةِ الدُّنيوية، وتكوينُ الجنينِ، **(وذلك في اليوم الثاني من أيام الإنسان)**.

---

١) الحديث ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية وراويه عبد الرزاق، شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، في أصل النور المحمدي، للعلامة أبي العباس سيدي أحمد سكيرج الأنصاري ـ من كتاب النفائس السيكريجية، تحقيق محمد الراضي كنون.

اليوم الثاني: (يوم بطن الأم):

يقابله: (إقام الصَّلاة)

والرَّابطُ بين إقامِ الصَّـلاةِ، ويـوم (بطـنُ الأمِّ)، ذلـك لأنَّ الإنسانَ وهو في بطن أمِّه، يكون متَّصلا بها اتِّصَالاً وثيقًا لا ينفصلُ عنها طرفةَ عين، تقومُ على رعايتهِ وإمدادهِ بكل ما يحتاجُ إليه في فترةِ نشأتهِ وتكوينهِ، دون انفصَالٍ ولا انقطَـاعٍ، قـال الله تعـالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[1].

ويُشبِهُ اتّصَالُ الإنسَانِ بأمِّـهِ وهـو في بطنهـا، اتِّصَـالُه بربهِ أثناءَ الصَّلاةِ، التي هي الصِّلة المباشرَة بـين العَبـدِ وربِّـهِ، ويكون واقفًا بين يدَيْ مولاهُ، فينعَمَ في حضرتهِ ويأمَنَ بمعيتهِ، بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾[2].

---

١) سورة الزمر ـ الآية: ٦.

٢) سورة طه ـ الآية: ١١.

وقد فُرِضَت الصَّلاة في السَّماء ليلةَ الإسراءِ والمعراج لتكونَ سببًا في دوام الوصلة مع الحق سبحانه، وتدُلُّ إقامتها على دوام استمرارها فكلُّ قائِمٍ هو دائمُ الوجُود، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾[1].

وبالرُّجُوع إلى مَعنى الصَّلاة لُغةً، فإنها تُفيد عِدَّةَ معانٍ، منها: الوَصلُ، والإنعطافُ، والتَّوجُه، ومنها: اتِّصالُ شيئين ببعضهما البعض وتلازُمِهمَا؛ ومنها: تَصْلاةُ النَّار، أي: تمسُّه وتتصِلُ به؛ فالصَّلاة إذن تعني إتصَالٌ وتواصُلٌ، حيث اتَّصل الله سُبحانه وملائكتُه بالنبي صلى الله عليه وسلم، إتصالا نفسيًّا ورُوحيًّا ومنهجيًّا، يوم الإسراءِ والمعراج، ونحنُ نُقيمُها تقليدًا وهديًا وسيرًا على سُنَّته[2]؛ ونتيجة لذلك فإنه يحصُل التواصُلُ الكامل بين الخلق وبين الله سبحانه وتعالى

١) سورة هود ـ الآية: ١٠٠ ـ و(القائم): ما كان قائمًا على عرُوشه، والحصيد ما لا أثر له ـ تفسير فتح القدير ـ الشوكاني.

٢) محمد يوسف الوحيدي، **(تأملات في الصلاة ــ ثورة الروح)**، موقع سما الإخبارية، وكالة أنباء فلسطينية، الجمعة ١٠ فبراير ٢٠١٧م.

في أبهى صُورةٍ من صُور التَّعبدِ، والتَّمجيدِ، والسُّمُوِّ، وإقامُ الصَّلاةِ تعني مُداومَة الإنسانِ للصِّلةِ التي كان عليها كلٌّ من العقل والرُّوح قبل تكوين الجنين، وقد خصَّ الله الصَّلاةَ بالذكرِ لفضلها وشَرَفها وتضَمُّنِها عبُوديَّةَ القلبِ واللِّسانِ، والجوَارحِ، وجاءت اللاّمُ في {لِذِكْرِي} للتّعليل، أي: لأجلِ ذِكْرِكَ إيَّايَ، لأنَّ ذِكرَهُ تعالى أجلُّ المقاصِدِ، وهو عبُوديَّةُ القلبِ، وبه تكون سَعادته، وتتحقَّقُ سكينتَهُ[1].

وبعد الوَصلةِ بالله، يكونُ الإنفاقُ من رِزْقِ الله، على عبادِ الله، قال الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

وهذا الكَسْبُ من العمَل، لا يكون إلا بعدَ الميلادِ، (وهو اليوم الثالث من أيام الإنسان).

---

١) تفسير التحرير والتنوير ـ لابن عاشور ـ ص٣١٣.
٢) سورة البقرة ـ الآية: ٣.

اليوم الثالث: الميلاد (يوم الدُّنيا):

يقابله: (إيتاءُ الزَّكاة)

ويتحقق الرَّابط بين يوم الميلاد، أو (يوم الدُّنيا)، وبين فريضَةِ الزَّكاةِ، بأمرَيْنِ: أولا: بسُنَّةِ العقيقةِ المؤكَّدةِ، وهي زكاةٌ عن المولود، وقد أمرنا بها الرَّسول صلى الله عليه وسلَّمَ، وثانيًا: أنَّ الله خلقَ الإنسانَ لعِمَارةِ الأرضِ، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]؛ وعمَارةُ الأرضِ تقتضِي من الإنسانِ الْجِدَّ والعملَ، والكسبَ المادِّيَّ، والسَّعيَ في الحياة الدنيا، وقد منحَه الله عطاءً ربانيًّا لا ينفد ولا ينتهي في جميع المجالات، ولذلك فإنه مطلوبٌ من العبدِ مُقابلة هذا العطاء بعطاءٍ مثله للخلقِ، يتمثلُ في الزَّكاة في جميع المجالات، والإنفاقِ على الغير بما هو فائضٌ عن حاجته، وهنا يتحقق واجبُ الزَّكاة في هذا اليوم (يوم الحياة الدنيا)، فلِلْعَمَلِ زكاةٌ، وللصِّحة زكاةٌ، وللحصَاد زكاة، وللزُّرُوع زكاة، وغيرِ ذلك

١) سورة هود ـ الآية رقم: ٦١.

من فروع الزكاةِ المفروضَةِ، عِلاوَةً على الأنواع الأخرى من الصَّدقات المتنوعة في الإسلام، فهو عطاءٌ من الإنسان متجدِّدٌ مدى العُمر، مقابل العَطاء الرَّباني الممتد عبر الحياة.

وقد جمع الله بين الصَّلاة والزَّكاة في تتابُع بليغٍ في إحدى آيات القرآن الكريم، في قوله سبحانه وتعالى:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[1].

هذا التَّتابُع الزَّمني في التكليفِ الرَّباني للإنسان، يتوافقُ مع تتابُعِ المراحِلِ التي يمرُّ بها خلال مَسيرته في الحياةِ الدُّنيا وفْقَ تَسلسُلِ أيامه كما هي في هذا البَحثِ، ويمكثُ في طور الحياة الدنيا إلى أن يصلَ إلى نهاية الأجل، فينتقل إلى مرحلةٍ أخرى من مراحلِ الحياة الدُّنيا بالوفاة.

(وهذا هو اليوم الرابع من حياة الإنسان).

---

١) سورة النور ـ الآية رقم: ٣٧.

اليوم الرابع: (يوم الوفاة):

يقابله: (صوم رمضَان)

ينتقلُ الإنسانُ بالوَفاةِ من مرحلةِ الحياة الجسدِية، إلى الحياة البرزَخيَّةِ الثانيةِ، كما كان في المرحلة البرزَخِيَّةِ الأولى يوم (ألستُ بربِّكم)، فيذهَبُ الجسدُ، وتنقضي الشَّهواتُ، وينتفي العمَلُ، ويتوقَّفُ الإنفَاقُ، وهذا الطَّورُ يقابله من أركان الإسلام الصَّوم، فكمَا صَامَ العَبدُ في الحياة الدُّنيا يكون في هذه المرحلَةِ كالصَّائِم ليسَ له انشغالٌ بالجسَد؛ قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ، فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ"[2].

---

١) سورة البقرة ـ الآية رقم: ١٨٥.

٢) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ـ من حديث ابن مسعود.

والصَّوم في ذاته سِرٌّ عجيب، فجميع العِبادات تكُـون بمشهدٍ من الخلقِ إلا الصَّوم، فإنه مـن الأسـرارِ القائمـةِ بـين العَبدِ وربِّه، حتى نَوْمُ الصَّائم في حدِّ ذاته عِبَـادة، وقـد قسَّـم بعض العلمَاء ما يكْسِبُهُ الصَّائمُ إلى ثلاثة أقسام:[1]

- صوم العُموم: وهو كفُّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وهم يُؤجرُون على ذلك حقًا.
- وصوم الخصُوص: وهو كفُّ الجوارح عـن الآثـام، زيـادَةٌ عن الأول، وأجرُهم في ذلك أفضل.
- وصوم خصُوص الخصُوص: وفيه زيـادَةٌ علـى مـا سَـبق: كفُّ القلبِ والفِكر عمَّـا سِـوَى الله، والتَّأمُّـلُ في عظِـيم آياتِ الله، ولذلك يُوفِّيهم الله أجرَهم بغير حسَابٍ.

ويظل الإنسان في قبره إلى قيام السَّاعة، فيكون اليوم الخامس والأخير من أيام الإنسان، وهو: (يوم الحشر والجزاء).

١) أبو حامد الغزَّالي، **إحياء علوم الدين؛** (كتاب أسرار الصوم، الفصل الثاني، في أسرار الصوم وشروطه الباطنة).

اليوم الخامس: (يوم الحَشر):

يقابله: (الحجُّ الأكبَر)

تُشكلُ فريضَةُ الحجِّ الرُّكنَ الخامسَ من أركانِ الإسلام، يقابله اليومُ الخامسُ أيضًا من أيام الله بالنِّسبة للإنسَان، وهو (يوم الحشر)؛

ومثلمَا كانت الشَّهادتانِ في اليوم الأول: (يوم ألستُ) مرَّةً واحدةً للإنسان، فإنَّ الحجُّ يكون في العُمر مرَّة واحدةً أيضًا، وفي هذا التقابل إشارة إلى أنَّه كما بدأتِ الحياة بشقَّيها من الله، ستنتهي إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1].

وهذا الارتباطُ العدَدِيُّ بين يومَيْ: (ألستُ بربكم)، و(يومُ الحشرِ)، يقابلُهُ أداءُ رُكْنَيْ: (الشَّهادَتانُ)، و(الحجُّ)، وهما يمثلانِ دائرةُ العُمرِ كلِّه، كما يلي:

---

١) سورة الأنبياء ـ الآية رقم: ١٠٤.

- فيكونُ النُّطق بالشَّهادَتينِ كأنه يومُ ميلادِ الإنسانِ في أول العُمر وبدْءِ الحياةِ، وهو لا يكونُ إلا مرَّة واحدةً؛
- ويكون الحجُّ تجسيدًا لحالةِ البَعثِ، ويكون في العُمرِ مرَّةً واحدةً أيضًا، فتكتَمِلُ بذلكَ دورَةُ العُمرِ، وتترابَطُ الأطرافُ في فلكِ الحياةِ الدُّنيويَّةِ والآخِريَّةِ معًا.

وقد صدر النِّداء بالحجِّ للإنسَانِ من الله مرَّة واحدَةٍ أيضًا، ورُغم أن الأمرَ بالنِّداءِ كان لسيدنا إبراهيم عليه السَّلام، بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[1]، إلاَّ أنه يُعتبر من الله للنَّاسِ مباشَرَةً، لأنَّه سُبحانه الذي أوصله إلى مسَامِعِ البشر[2]، ولذلك فإن النِّداء بالحجِّ يختلف عن النِّداء للصَّلاة، فإذا نودِيَ للصلاة، يذهبُ الناسُ في صَمتٍ مُجيبين دعوةَ المؤذنين إلى الله، فهُم وسَطاءُ بين اللهِ والناسِ؛

١) سورة الحج ـ الآية رقم: ٢٧.

٢) قال إبراهيم: يارب، وما يَبلُغُ صوتي؟، فقال سبحانه: عليك الأذانُ، وعلينا البلاغ ـ تفسير البغوي: "معالم التنزيل".

أمَّا الدَّعوة للحجِّ، فإنه لا وسيطَ بين صَاحِب الدعوة سُبحانه وبين خلقه، فتَحتَّم الجوابُ على دعوتهِ بكلامٍ مسمُوعٌ يدلُّ على إجابةِ الدَّعوةِ، ولذا كانت التَّلبيةُ بالحجِّ شرطًا لصِحَّةِ الإحرَامِ عند بعض الأئمَّةِ الكِرام، فيَذهبُ الناسُ إلى الحجِّ وكأنهم يتخطُّونَ عتبةَ الانتقالِ من الحياةِ الدُّنيا إلى الآخرَةِ، وقد توحَّدَتْ هيأتُهُم في لباسٍ واحدٍ كأنه لبَاسُ الموتِ، ثمَّ يبدأ الطَّوافُ في حلقاتٍ دائريةٍ يرتبطُ أولها بآخِرِهَا، وكأنَّ الإنسانَ لا يدري أينَ المفرُّ؟؛

ويتدَافعُ الناسُ في طوافِهم أفواجًا، كلُّ فوجٍ يَتَّبِعُ داعيًا خاصًّا به، يتبَعُهُ في سَائرِ خُطاهُ، وفي أيِّ اتِّجاه يُولِّي وِجهتَهُ، وتسيرُ الحشُودُ خلفَ أدلَّتِها وكأنهم يُسَاقُونَ إلى مصيرٍ محتُومٍ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[1]؛

١) سورة طه ـ الآية رقم: ١٠٨.

ثم يتَّجِهُ الحجيجُ إلى حَجرٍ واحدٍ من أحجارِ الكعبةِ كي يلتمِسُوهُ تَقبيلاً أو إشارةً وتَهليلاً، وكأنهم ينتقلُون من دوائِرِ حيرَتِهِمْ، إلى شُهودِ وَحْدَةِ قِبلتِهم فتتوحَّدُ منهم النَّظرةُ، وتتأصَّلُ فيهمُ العِبرَة؛

ثمَّ يتحوَّلُ الرَّكبُ إلى طوافٍ آخرَ وسَعيٍ جديدٍ، يَسيرُونَ في طريقٍ واحدٍ ذاهبُونَ فيه عائدُونَ، في مكانٍ ضيِّقٍ هُم يركضُونَ، وكأنَّهم على الصِّراطِ يُهرَعُون، يرُوحونَ فيه ويجيئُونَ، وكأنهم عَن مَلاذٍ آمِنٍ يَبحثُونَ؛

ثم يذهبُ الحجِيجُ إلى مكانٍ واسعٍ فسيحٍ يقفُون فيهِ مجتمعِينَ، في صَعيدٍ واحدٍ مُهلِّلينَ مكبِّرينَ، وعلى عرفَاتِ يتزاحمُونَ، يركضُون مُتسَارعُونَ صَاعدُونَ، وكأنَّهم إلى ربِّهِم يَجْأَرُونَ، وأنَّ مُنَادٍ قامَ فيهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾[1]، ينتظرُونَ الصُّحُفَ أن تُنشَرَ، والموازينَ أن توضَعُ؛

١) سورة المرسلات ـ الآية رقم: ٣٨.

ويخلُصُ الحجِيجُ من سَعيهم ومَسعَاهُم وهُم في حاجةٍ إلى ما يَروِي ظمَأَهُم، فيذهبُوا إلى ماءٍ مَعينٍ في مكانٍ أمِينٍ، لينهلوا منه ما يشربُون، من ماء زَمزَمَ يتَضَلَّعُونَ، فيتطهرُ فيهم باطنهُم كما تطهَّر مظهَرَهُم، ثم يكون الحلقُ أو التقصِيرُ، فيصبحُ الإنسان كيوم ولدته أمُّه؛

عندئذ يظهر جليًّا الشَّبه الواضِحُ بين الحجِّ والبَعثِ، حيث يخرجُ الناسُ من قبُورهِم دفعةً واحدةً في سُرعة فائقةٍ، وهم ﴿يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾[1]، يتدافعُونَ من كلِّ الجهاتِ، ومِنْ جميعِ الأنحاءِ.

تلك هي شعائرُ الله،

وكأنَّها تدريبٌ عمليٌّ على أهوال يوم الحشر،

فَمَنْ يَكتَسب منها العِبرةَ فقد فازَ واهتدَى،

ومن حادَ عنها وانشغلَ بأحوالِ الدنيا فقد غوَى.

---

١) سورة القمر- الآية رقم: ٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

(أيَّام اللّه والصَّلوات الخَمس)

لَمَّا كانت الصَّلاةُ أكملَ وسيلةٍ تصِلُ بالإنسانُ إلى مُداومَةِ ذِكْرِ الله ـ كما ورَد في الفصلِ السَّابق ـ وأنها تُذكِّرُ العبدَ بخالقهِ في كلِّ صلاةٍ، فيستشعرُ أنه واقفٌ بين يَدَيْ الله سُبحانه وتعَالى لِمُناجاتِهِ، والمناجَاةُ لا تكُونُ إلا بالوَصْلةِ الرُّوحانِيةِ، والصِّلةِ القلبيَّةِ بين الْمُتَناجِيَيْنِ.

وباعتبارِ هذا المعنى، فإنه يمكنُ القولُ بأنَّ هذِه الوَصْلةُ بين العبدِ ورَبِهِ في الصَّلاةِ، هي: فيوضَاتٌ رَبانيَّةٌ، وتنَزُّلاتٌ رَحمانيةٌ، ونفحَاتٌ عِرفانيةٌ، وتجلِيَاتٌ نُورانيةٌ، هذه التَّجلياتُ تتنوَّعُ بتنوُّعِ الصَّلواتِ الخمسِ وفقا لحالِ العبدِ في أطوارِ حياتهِ الدُّنيويةِ والأُخرَويةِ، واختلافِ أيامهِ بينَهُ وبينَ ربهِ سُبحانه، فيكونُ لكلِّ صَلاةٍ تجلِيَّاتٌ خاصَّةٌ تختلفُ باختلافِ أيام الإنسانِ المذكورَةِ سَابقا، كما يلي:

اليوم الأول: (يوم ألَسْتُ برَبِّكم):

يقابله: (صلاة الفجر)

يُعتبر(يوم ألستُ)، هو الطَّورُ الأولُ من أطوارِ خلقِ الإنسانِ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1]؛ وكانت التَّجلياتُ الرَّبانيةُ في هذا اليوم بصورة مباشرة بين العبد وربِّه، حيث شاهَد فيها العبدُ ربَّه عِيانا، وخاطبه كِفاحًا، وأجابه لِسانًا، حين أشهدَهم على أنفسهم قائلا: (ألستُ بربكُم؟)؛ قالوا بلى ـ كما سبق بيانه.

وهذا الخطابُ من الحق سبحانه وتعالى كان للناس وهُم في عالَمِ الذَّرِّ، في ظهُور كلِّ ذرِّيَّة آدمَ عليه السلام، والإنسان في هذا اليوم كان يتكوَّن من عقلٍ ورُوحٍ فقط، لأنَّ أخْذَ المِيثاقِ لا يُمْكِنُ إلا مِنْ عاقِلٍ.[2]

---

١) سورة نوح ـ الآية: ١٤.

٢) تفسير الرازي ـ فخر الدين الرازي.

وفي هذا اليوم، حدَثت أولُ صِلةٌ بين العبدِ وربِّه، وكانت التَّجلياتُ الرَّبانية على الإنسَان في هـذه المرحَلـة تُناسِبُ حالته التي هو عليها من حيثُ الزَّمـان والمكـانِ، ومن ذلك يمكن أن نستنتجَ العِلاقة بين هـذا اليـوم وبـين صَلاة الفجر من عدَّة وجُوه:

أولا: إعتبار هذا اليوم، هو يوم ظهُور الإنسان أمَام ربِّـه لأولِ مرَّة، يقابله ظهُور الفجر في أول اليوم؛

ثانيا: أن الإنسانَ وقتَها كان في عالَمِ الذَّر، غـير مُكتمـلُ البِنية، يتكوَّن من عُنصرين هُما: العقلُ، والـرُّوح، فقابَلته صَلاة الفجر بركعَتين فقط؛

ثالثا: أن الله تجلَّي على الإنسَـان في هـذا اليـوم كِفاحًـا، وخاطبَـه جِهـارًا وعِيانـا بكـلامٍ مسـمُوع، فكانـت صَلاة الفجرِ صَلاةً جهريَّةً.

اليوم الثاني: (يوم بطن الأم):

يقابله: (صلاة الظهر)

ثم يكون اليوم الثاني، وهو يوم تكوينِ الجنينِ، بدايةً لظهُور الخلق في الكون، حيث يقول الحق سبحانه عن تلك المرحلةِ من خَلق الإنسان: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾.(١)

عندئذٍ يكون الإنسَان قد بدأ في التكوينِ البشَرِيِّ، وانتقل إلى الطور الثاني من أيام خلقِه وتصويرِه، فأصبح جنينًا يتكوَّن من العقل والرُّوح، بالإضَافة إلى النَّفس والجسدِ، ليكون صالحًا لمتطلبات الحياة الدُّنيا.

ثمَّ استمرَّت تلك الصِّلة بين الله وبين الإنسَانِ وهو في بطن أمِّه مُكتمِل العناصِر الأربعَةِ، فكانت التَّجلياتُ الرَّبانية على الإنسَان في هيئتهِ الكامِلة، ومن

١) سورة النجم ـ الآية: ٣٢.

ذلك، فإنه يمكن استنتاجُ الرَّوابطِ التي بين الإنسان وهو في بطن أمِّه وبين صَلاة الظهر، على النَّحو التالي:

أولا: أن الإنسانَ في هذه المرحلة، يكون قد اكتمَل إنشاؤُهُ في الهيأةِ التي سيَظهر بها في الحياةِ الدُّنيا، فسُمِّيت هذه الصَّلاة، بصَلاة الظُّهر، من الظُّهُور؛

ثانيا: أن التَّجلي الإلهي على الإنسَان في هذا اليوم يكون على الأربعةِ عناصِرِ التي كوَّنت الجنينَ، وهي العقل والرُّوح، والنَّفس والجسدُ، يقابلها صَلاة الظهر التي تتكون من أربع رَكعَات؛

ثالثا: أن الصَّلاة مجزَّأة إلى نصفين، بينهما فاصِلٌ بالسَّجدةِ الوُسطى، وكأنها تفصِل بين مرحلتي التكوين:

الأولى: مرحلةُ تكوين العقلِ والرُّوح في عالم الذَّر.

والثانية: إنشاءُ النَّفسِ والجسدِ في بطنِ الأمِّ.

رابعًا: أن الصِّلة بين الإنسانِ وبين ربِّه أصبحَت صِلة إنشاءٍ وتكوينٍ دُون مخاطبةٍ، وأصبح الجسدُ الطيني حِجابًا بين العبد وربِّه سبحانه، فلا رُؤيَة عِيانية، ولا مُشاهدَةٍ حقيقية، ولا خِطاب مَسمُوع، فكانت صَلاة الظهر سِرِّية، وليست جَهرية.

اليوم الثالث: الميلاد، (يوم الدنيا):

يقابله: (صلاة العصر)

وتُعتبرُ لحظةُ الميلادِ، بدايةَ اليوم الثالثِ من أيام الإنسان في الحياة الدُّنيا، فيخرُج إلى الحياة التى هي دارُ العملِ والابتلاءِ، والكدِّ والعَناءِ، يقابلُ فيها من المصَاعبِ والعقباتِ التي تجعله يتضرَّع إلى ربِّه طالبًا الْمَعونةَ والسَّداد، ويكون التَّجلي الرَّباني فيها من وَراءِ حِجابٍ أيضًا كيومِ بطنِ الأمِّ ومن هنا يمكن الرَّبط بين يَوم الميلادِ، أو الحياةِ الدنيا، وبين صَلاة العَصر، كما يلي:

(أيَّام الله والصَّلوات الخَمس).

أولا: أن الإنسَان يكونُ مُكتمِل التكوين بعناصِرِهِ الأربَعةِ ولذا كانت صلاة العصر من أربعة ركعاتٍ، بينهما فاصلٌ بالسَّجدة بين كلِّ ركعتَين كصَلاة الظهر؛

ثانيا: أنه لَمَّا كانت الدُّنيا دارَ عملٍ وشقاءٍ، وتعبٍ وعناءٍ، فإن الإنسَان يكدُّ ويَكدَح، فيَنْعَصِرُ فيها من التَّعبِ، فسُمِّيتْ بصَلاة العَصر؛

ثالثا: أن التَّجلي الرَّباني على العبَاد يكون من ورَاء حجابٍ، فهي سريَّة مثلمَا هي صَلاة الظهر أيضًا؛

رابعا: أقسَم الله بها في قرآنه الكريم، ذاكِرًا فيها كُلاًّ من العمَلِ الصَّالحِ، والحقِّ، والصَّبرِ، فهو وقتُ التَّعبِ والْجُهدِ والمشقَّةِ، قال تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

اليوم الرابع: (يوم الوفاة):

يقابله: (صلاة المغرب)

إذا انتهَى أجلُ الإنسَان في الدُّنيا بالوَفاة، فإنه يُدفَنُ في القبر وينتَهي منه الجسَدُ ويؤُول إلى تُرابٍ، تلك المادة الأصليةُ التي نشَأ منها، ويبقَى له كلٌّ من الرُّوح، والنَّفس، والعَقلِ، ليس العقلُ المادِيُّ الذِي في الدِّماغ، ولكنه العقلُ الواعي الذي يجيبُ به على سُؤالِ الملكَيْنِ، ويُشاهِدُ به مَقعدَه في الآخرةِ، كما في الحديثِ الشَّريف، فقد قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم:[1]

''إنَّ المؤمنَ إذا ماتَ أُجْلِسَ في قبرِهِ، فيُقال له: مَن ربُّكَ؟ فيقُول: الله عزَّ وجلَّ، فيُقالُ له: مَن نَبيُّكَ؟، فيقُول: محمَّدٌ صلى الله عليه وسَلم، ثم يُفتَح له بابٌ إلى النَّار، فيُقال له: انظُر إلى مَنْزِلِكَ من النَّارِ لو زُغْتَ؛ ثمَّ

١) الحديث: أَخْرَجَه ابْنُ أبِي حاتِمٍ، وابْنُ مِندَهْ والطَّبَرانِيُّ في «الأوْسَطِ» عَنْ أبِي قَتادَةَ الأنْصارِيّ.

يُفْتحُ له بابٌ إلى الجَنَّة، فيُقال لـه: انظُـر إلى مَنزِلِـكَ مـن الجَنَّةِ إذ ثُبِّتَّ؛ وإذا ماتَ الكافرُ أُجْلس في قبرِه، فيقال له: مَنْ ربُّك؟ ومَنْ نبيُّكَ؟ فيقُـول: لا أَدْرِي، كنـتُ أسْـمَعُ الناسَ يقُولُونَ، فيُقال له: لا دَرَيْتَ، ثم يُفْتحُ له بابٌ إلى الجَنَّةِ، فيُقال له: انْظُر إلى مَجْلِسِكَ من الجَنَّةِ لو ثُبتَّ، ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ فيُقالُ له: انظُرْ إلى مَنزِلِكَ من النَّارِ إذ زُغْتَ، فذلك قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾

[سورة إبراهيم ـ الآية: ٢٧]

ومن ذلـكَ الحـديثِ الشَّـريف، يمكـنُ إيجَـادُ عناصِـرَ الرَّبطِ بين يوم الوَفاةِ وصَلاة المغربِ، فيما يلي:

أولا: أنه بالوَفاةِ وانقضَاءِ العُمـرِ، يفنَـى جسـدُ الإنسَـانِ الذي كان يجعلُهُ ظاهرًا في الدُّنيا على هيأتهِ ويَغرُبُ عن الوجُودِ، فسُمِّيَتْ صَلاةُ المغرِبِ؛

ثانيا: أن الإنسَانَ عندما يذهَبُ منه جَسَدُهُ، يبقَى له ثلاثةُ عناصِرَ فقط، وهي: الرُّوحُ، والعَقلُ، والنَّفس، فهي مثل صَلاةِ المغربِ ثلاثُ ركعَاتٍ؛

ثالثا: أن الخطابَ سيكونُ جهرًا للميِّتِ، ولذا فإن صَلاةَ المغربِ جَهريَّة، فقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

رابعا: ولأنَّ الخطابَ سيُوجَّه إلى العقلِ والرُّوحِ والنَّفس، كانت الصَّلاةُ ثلاثَ ركعَاتٍ، ركعتَانِ جَهريَّتَانِ، كصَلاةِ الفَجر، كما كان الخطابُ في يوم ألستُ، والرَّكعةُ الثالثةُ سِرِّيةٌ، لأنها تُقابل النَّفس البَشريَّةَ التي لم يأتِ مِيعادُ ظُهُورِها للحقِّ بعدُ، فهي تنتَظِرُ قِيَامَ السَّاعةِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[2].

---

١) سورة ق ـ الأية: ٢٢.

٢) سورة طه ـ الآية: ١٥.

اليوم الخامس: (يوم الحشر):

يقابله: (صلاة العشاء)

ويومُ الحشرِ، هو خامِسُ الأيامِ بالنسبة للإنسَان في مَسيرةِ حياتهِ، وفيهِ يعُود تكوينُ الفَردِ إلى أربعَةِ عناصِرَ ماديَّةً كما كانَت في الحياةِ الدُّنيا؛ وتَغشَى الناسَ أهوالٌ وأحوَالٌ تصُكُّ الآذانَ وتُعمِي الأعْيُنَ، فتحدُثُ على القُلوبِ غِشَاوَةٌ من هَوْلِ الموقفِ، ولذا يمكنُ إيجاد عناصِرِ الرَّبطِ بين يومِ الحشرِ وصَلاة العِشاءِ، كما يلي:

أولا: لأنَّ الناسَ في يوم القيامةِ يُحشَرُونَ حُفاةً عُراةٌ كلٌّ مُنشَغِلٌ بنفسِه لا يرَى من غيرِهِ شيئًا حيثُ (تَعْشَى) الأَعْيُنُ، أي: يُصيبُها الضَّعفُ الشَّدِيدُ فلا تُبْصِرُ،[1] لذلك سُمِّيت صَلاةُ العِشَاء؛

١) تَعْشَى، أو عَشِيَ: ساء بصرُه باللَّيل وبالنَّهار، أو أبصر بالنَّهار ولم يُبصر باللَّيل، أو عمِي، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} سورة الزخرف ـ الآية: ٣٦.

ثانيا: أنَّ الإنسان يعُود إليه جسدُه، فيصبحُ من أربعةِ عناصِرٍ كمَا كان في الدُّنيا، وهي: الرُّوحُ، والعقلُ، والنَّفسُ، والجسَدُ، ولذَا كانتْ صَلاةُ العشاءِ أربعَ ركعاتٍ، كصَلاتَيْ الظُّهرِ والعَصرِ؛

ثالثا: لأنَّ الذين يقعُ عليهم الحساب يوم القيامة نوعان:

- نوع يحاسب حسابًا يسيرًا، سِرًّا بينه وبين ربِّه؛
- ونوع يحاسب حسابًا عسيرًا، جهرًا أمام الملأ،

وذلك، كما ورد في الْحديث النبوي الشريف،[1] أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ''يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ ويستُرَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ ذَنْبَ كذَا؟، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ؛

١) الحديث: عن صفوان بن مِحرز المازني، عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ صحيح البخاري ـ كتاب المظالم والغصب ـ رقم: ٢٤٤١.

وَأَمَّـا الْكُفَّـارُ وَالْمُنَـافِقُونَ، فَيُنَـادَى بِهِـمْ عَلَـى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ بصوت جهُورِيٍّ مسمُوع:

"هؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ"

ولذا كانت صَلاةُ العشاء مكونة من أربعَ ركعاتٍ، منها: ركعتَانِ جَهرِيَّتانِ بغير حجاب أو سِتر، كما هو نداء الله جهرًا للكفار والمنافقين، وكصلاتَيْ: الفجر، والمغرب، وركعتان سِرِّيَّتان، كما سيكون عليه خطاب الله للمؤمنين سِـرًّا، عند سترِ الذُّنوبِ في الآخرةِ.

(وبذلك تنتهي الصَّلوات الخمس كلَّ يومٍ)،
(ويتهيَّأُ العبد استعدادًا لميلاد يوم جديدٍ).

بسم الله الرحمن الرحيم

(أيَّامُ اللّه والسُّنن الرَّواتب)

إن الرَّسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي بلَّغ عن الله كلَّ ما جاءَ به من عند الله، وأرشدَنا إلى كيفية القيام بعبادَته، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١)

وليست مُهمَّة الرَّسول صلى الله عليه وسلم أن يُبيين للناس ما أُنْزِلَ إليهم فقط، وإنما أن يُعلِّمَهُم ويُرشِدَهُم إلى ما فيه الخير في دنياهم وآخرتهم، حيث جاء الأمر الإلهي صريحًا بوجُوب طاعته، والعمل بما جاء به من أقوال وأفعال، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢)

١) سورة النحل ـ الآية: ٤٤.
٢) سورة الحشر ـ الآية: ٧.

وقال أيضًا: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.[1]

ومن مظاهِرِ هذه الرَّحمة، أن الله خصَّه صلى الله عليه وسلم بالشَّفاعة للخلق، سواء في الدنيا، أو في الآخرة:

- ✓ فأمَّا شفاعَةُ الآخرة: فهي الشَّفاعة العُظمى، يوم يقول صلى الله عليه وسلم: (أنا لَهَا، أنا لَهَا)؛
- ✓ وأمَّا شَفاعة الدُّنيا: فهي كلُّ ما جاء به صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقرير، ومنها السنُّن الرَّواتب في الصَّلوات المفروضة.

وتتجلَّى هذه الشَّفاعة من قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[2] بعد أن أقسَم الله بالفَجر، وقد تعدَّدت التَّفاسِير في مفهوم هذا القَسم، حيث ورد في بعض التَّفاسِير أن المقصودَ بقوله تعالى: (وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ)، يعني: الخلقَ والخالقَ، فالشَّفعُ يَعني جميعَ الخلق، حيث كان الله ولا شيءَ معه، فلمَّا خلقَ الله

١) سورة آل عمران ـ الآية: ١٣٢.
٢) سورة الفجر ـ الآية: ٣.

سبحانه الخلقَ، شفعَ وُجُودَه، فقيلَ عنه الشَّفعُ؛ (وَالْوَتْرِ)، هو الله تعالى لأنَّ من أسمائـهِ، الواحِـدُ الأحـدُ، فيكـون الله قـد أقسَم بذاتِه وخَلقِه[1]؛ ولكنَّ أغلبَ ما اتَّفق عليـه المفسِّـرُون، ما وَرَد عن سُفيان عن جابر عن مجاهد قـال: ''(الـوَتْرُ)[2]: الله، ومَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَـيْءٍ فَهُـوَ (شَـفْعٌ)''[3]؛

وحيث تقول بعضُ الأخبار إن أوَّلَ مَنْ خَلَقَ اللهُ: هو نـُور النَّبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقـد يكـون الرَّسُـول صلى الله عليـه وسـلم هـو المقصـود بالشَّـفع، حيـث شَـفَع وُجُودُهُ وجُـودَ الواحِـد الأحـدِ سُـبحانه، وذلـك لأنَّ جميـعَ المخلوقات جاءَتْ بعدَهُ صلى الله عليه وسـلم، فقـد ورَد في إحدَى الأحاديث الشَّريفة التي تتحدث عن بـدْءِ الخلق، قوله صلى الله عليه وسلم: ''كُنتُ نَبيًّا وآدَمُ بينَ الْمَاءِ وَالطِّينِ''؛

١) تفسير القاسمي ـ محاسن التأويل ـ الجزء: ٩ ـ ص: ٤٦٥.
٢) (الوَتْرُ): تُقرأ بالفتح غالبًا، وفي بعض التَّفاسير بكسر الواو.
٣) تفسير الطبري ـ ابن جرير الطبري ـ تفسير سورة (الفجر).

وأيضًا ما جاء في جوابه عليه الصَّلاة والسَّلام عن سُؤال سيدنا جابرٍ رضي الله عنه، عن أوَّل ما خلقَ الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرْ"[1]؛

ومِنْ ذلك التَّلازُمِ بين كلٍّ من: (الشَّفع) و (الوَتر)، كانت السُّنن الرَّواتب مُتلازمةً مع الصَّلاةِ، فالصَّلاةُ فرضٌ من الله سبحانه، والسُّنَنُ هديَّةٌ عظيمةٌ منه صلى الله عليه وسلم لأمَّته خاصَّةً، تشفَع لها كلَّ نقصٍ، أو سَهو، أو خَطأ يحدُث من العبد في صَلاته، فتُعتبر جبرًا لهذا الخلل الطَّارئ، أو النِّسيانِ في عبادتنا في الحياةِ الدُّنيا، وهي ركعتَان عند كلِّ صَلاة مفرُوضة، عدَا صَلاة العصر، (وسيأتي تفسير ذلك).

ومما سبق، يتضح السبب الحقيقي لذلك الترابط بين السُّنَن الرَّواتب وترتيبها وأعدادِها، وبين الصَّلوات الخمسِ، وتناسقها مع أيَّام الله المتعلقةِ بالإنسان، كما يلي:

---

١) قال العجلوني: "رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله"؛ وصححه الحاكم في المستدرك ٦٦٥/٢ بلفظ: "كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد"؛ وبألفاظ أخرى متقاربة.

اليوم الأول: (يوم ألَسْتُ برَبِّكم):

يقابله: (سُنَّةُ الفجر)

حيث إنَّ أول أيَّام الله بالنِّسبة للإنسان كان يَوم (ألسْتُ بربِّكم)، يُقابله في أركان الإسلام النُّطقُ بالشَّهادتين، ثم التَّطبيق العمَلي للعِبادات من إقامِ الصَّلاة ـ كما سَبق، ثم أداء السُّنَنِ النبوية الشريفة اقتداءً بالرَّسُول صلى الله عليه وسلم ـ ومنها سُنَّة الفجر ـ فإنه يمكن إيجاد العلاقة بين يومِ (ألسْتُ بربكم)، وبين أداء سُنة الفجر، خاصَّةً وأنَّها جاءَت قبليَّةً بخلافِ كلِّ الصَّلوات، وذلك من عدَّةِ وجُوه:

أوَّلا: أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلَّم كان أول موجُود، كما سبق، يؤكِّدُه قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فهذه الآية الكريمة، تُشير إلى أن الرَّحمنَ هو الْمُعلِّمُ، والقرآنَ هو مادَّةُ التَّعلِيم، وبالضرورة، لا بُدَّ مِنْ وجُود مُتعَلِّمٍ ـ كون الفعل (عَلَّمَ): مُتعدِّيًا ـ فكان

(أيَّام الله والصَّلوات الخَمس).

صلى الله عليه وسلم هو أوَّلُ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ لأَسبَقيَّةِ وجُودِه، ثمَّ قال الله تعالى بعد هاتين الآيتَين: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[1]، وهذا الترتيب اللَّفظي في الآيات القرآنيَّة، يُشير إلى أنَّه صلى الله عليه وسلم ـ لأسبقية وجوده ـ قد تعلَّم القرآنَ قبل أن يُخلَقَ الإنسانُ، وقبل أن يتعلمَ البيان، كما ورد في الأحاديث النبوية، فكانت سُنَّتَهُ قبليَّةً.

ثانيا: أكَّد الحقُّ سبحانه وتعالى هذه الأوليَّة في الوجُودِ، وذلك التَّقديم لسيِّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾[2]، قال البَغَوي: (نورٌ): يعني محمَّدًا[3]، وقال أبو جعفر: يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم

١) سورة الرحمن ـ الآيات: (١ ـ ٤)، لكل ما في هذه الفقرة.
٢) سورة المائدة ـ الآية: ١٥.
٣) معالم التنزيل ـ تفسير الحسين بن مسعود، البغوي.

الذي أنارَ الله به الحقَّ، وأظهرَ الإسلام، ومحق به الكفر، فهو نُورٌ لِمَنْ اسْتَنَارَ بِهِ صلى الله عليه وسلم، يُبيِّن لهم الحقَّ[1]، ولَمَّا قدَّم الله سبحانه سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم على الكتاب في هذه الآية، تقدَّمَت سُنَّتُهُ على الفريضة.

ثالثا: لأنَّ نورَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يُعتبر بدايَةً لظهُورِ خَلقٍ جديدٍ، وأن إشراقَةَ نور الفجر بدايةٌ لأوَّل يوم جديدٍ، سبقت سُنَّةُ الفجر فريضته، مُشيرَةً إلى بداية العبادة بها في كل يوم جديد.

اليوم الثاني: (يوم بطن الأم):

يقابله: (سُنة الظهر)

وهذا اليوم، يُقابِله صَلاة الظُّهر، وحيث إنَّ السُّنةَ النبوية تشفع النَّقصَ في الصِّلاة، فإنَّها لابد أن تكون بَعدِيَّة،

١) جامع البيان في تفسير القرآن ـ ابن جرير الطبري.

حتَّى تتحسَّسَ الخطأَ فتَمْحي أثرَه، وتبحث عن السَّهو فتُعيدُ إليه أصلَه، فتُقبَلُ الصَّلاة؛ وهكذا في كلِّ صَلاة عَدَا العصر.

اليوم الثالث: الميلاد، (يوم الدنيا):

يقابله: (سُنَّةُ العصر)

وفي يوم الحياة الدُّنيا بعد الميلادِ، يبدأ الإنسانُ العملَ والْجِدِّ والتَّعبِ من أجل لقمة العيش، تنفيذًا لمراد الله منه، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، أي: طلب مِنَّا عِمارَة الأرضِ بالعمل كلٌّ حسب طاقته، ولكن مع إتقان العمل، فقد قال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عمَلا أنْ يُتقِنَهُ"[2]، وهذا التَّكليف الرَّباني، والتَّوجيه النبويُّ الشَّريف، جعل الدنيا دارَ امتحانٍ واختبارٍ، سوف يُحاسَبُ كل إنسانٍ يوم

---

١) سورة هود ـ الآية: ٦١.

٢) الحديث: رواه الطبراني في (الأوسط) ـ برقم: (٨٩١) عن السيدة عائشة رضي الله عنها.

القيامة على ما قدَّمه من عملٍ، ومدى إخلاصُه في أدائه، تمامًا كيوم الامتحان، لا شفاعة فيه ولا تصويب خطأ، يعتمد الإنسان فيها على نفسه، ويكون رقيبًا عليها، فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1]، فإنْ أحسن الأداء وأخلَصَ العمل فلنفسه، وإن أساء فعليها، ويُترك لِمُلاقاةِ جزاءَ تقصيره، أو سُوءِ عملِه، يوم الحساب؛ ولذلك، فإنه لا مجالَ للشَّفاعة في الحياة الدنيا، سواء لِمَن أهمَل في عمله، أو قصَّر ولم يحسِنُ الأداءَ، لأنه خالفَ أوامرَ الرَّسول صلى الله عليه وسلم فلم يُتقن عمله، ولذا لم تكن هناك سُنَّة من السُّنَنِ الرَّواتبِ بعد صَلاة العَصر لتجبر النقص فيها؛ فهي إشارة رمزيَّة ليتَفكَّرَ أولو الألباب في أسباب عدم شَرعيتها.

وقد يكون أنها نُقِلت أو أُجِّلت إلى يوم احتِياج الناس إليها في يوم الحشر الأكبر، رحمةً ورأفةً للعِبَاد من خير العباد، فقد أرسله الله رحمة للعاملين ـ كما سيأتي بيانُ ذلك.

---

١) سورة المدَّثر ـ الآية: ٣٨.

اليوم الرابع: (يوم الوفاة):

يقابله: (سُنَّةُ المغرب)

ثم يأتي يوم الوفاة، وعندَها يكُون الإنسان أحوَجَ الناس إلى الشَّفاعة للتَّخفيفِ من عَذابِ القبر، والاسْتِئنَاسِ بصاحبها في ظُلمَة المكان، فتأتي السُّنة النبوية الشَّريفة بعد صلاةِ المغرب تخفيفًا لِمَا قد يكون الْمَرأُ فيه، وتحقيقًا للمُؤانسةِ وإبعادِ الوحدة، وإيجادِ الطُّمَأنيةِ وإذهابِ الوَحشَةِ، خاصَّة وأنَّ الإنسان سَيُسأَل في القبر عن معرفتِه بصَاحِبِ الشَّفاعة، صلى الله عليه وسلم، كما ورد في الحديث النَّبويِّ الشريف، عن البَرَاءِ بن عَازِبْ، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قال عن العبد المؤمن إذا دُفنَ في قبرِهِ: ''فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ؟، فَيَقُولُ رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ مَادِينُكَ؟، فَيَقُولُ دِينِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟، فَيَقُولُ هُوَ

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَيَقُولاَنِ لَهُ وَمَا عِلْمُكَ؟، فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ".[1] فهذا الحديث الشريف يُؤكِّد شِدَّةَ حاجة الإنسان إلى الشَّفاعة في قبرِهِ، فكانت السُنَّة البعديَّة بعد صَلاة المغرب، رمزًا لهذه المعاني.

اليوم الخامس: (يوم الحشر):

يقابله: (سُنَّةُ العِشاء)

وخامس أيَّام الله بالنسبة إلى الإنسان هو يوم القيامة، الذي يُقابله صلاة العِشاء، وتختلفُ سُنَّتُها كثيرًا عن سُنَّةِ الصَّلوات الأخرى من عِدَّةِ وُجُوه، كما يلي:

أولا: السنَّة البعديَّةً، ركعتَان: فهي شفاعةٌ منه صلى الله عليه وسلم لكلِّ نقصٍ، أو سَهو، أو خطأ يحدث من العبد في الصَّلاة، كما سبق ذكرُه في بعض الصَّلوات ذات السُّنةِ البعديَّة؛

١) الحديث: سنن التِّرمذي ـ رقم: ١٠٧١ ـ (ج ٣ ـ ص ٣٨٣).

ثانيا: سُنة الشَّفع، ركعتَان: وهي تأتي بعد سُّنةِ العِشاءِ، ومن الممكن القول: أنها كانت مخصَّصةً بعد صَلاةِ العَصر، أُسوةً بباقي الفرائِض، إلاَّ أنَّها نُقلِت إلى صَلاة العِشاء، التي يُقابلها يومُ الحشر الأكبر، حيث يحتاج الإنسان إلى مَنْ يشفعُ له كلَّ تقصير في الحياة الدُّنيا، أو إهمالٍ في الطاعة والعبادَةٍ، وبذلك تكون تِلكُمَا الرَّكعَتين هديةً من صاحبِ الشَّفاعة العظمى يومَ الحشر للإنسان، ولهذا التَّعليل المفترض، سُمِّيت هذه السُّنـَّةُ بالشَّفع، تَيمُّنًا وأَمَلاً في أن تنالَنا بعضًا من شَفاعتِه صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف الرَّهيب، عندما يُنادِي العبدُ مُصطَرخًا قائلا: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾[1]، فيُجيبُ عليه الحق: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾[2]ـ والله أعلى وأعلم.

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ٥٣.

٢) سورة يونس ـ الآية: ٣.

ثالثا: سنة الوتر، ركعةً واحدةً: فقد تكون هـذه الرَّكعـة إشارة رمزيَّة لتحقيق قوله تعـالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1]؛ وذلك بعد أن يقبض الله تعالى أرواحَ جميع الخلق ولَم يَبـْقَ سِواهُ وحدَه، لا شريك له، ويكون الأمر كلُّه بيدِه سبحانه ويقول ثلاث مرَّات: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فيجيبُ نفسَه بنفسِه قائلا: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2]؛ الذي هو وحدَهُ سبحانه وتعالى قهَـر كلَّ شيءٍ وغلَبه[3]؛

ولَمَّا كان أولُ موجُودٍ هو واجـبُ الوجـود سـبحانه وتعالى الواحِدُ الأحَدُ، الفرد الصمد، وِتْرًا لا ثـانِيَ لـه، كـان خِتام جميع الصَّلواتِ الخمس في كلِّ يوم بهذه السُّـنَة النبويـة الشريفة وِترًا، لا شيءَ بعدَها.

---

١) سورة الرحمن ـ الآيات: ٢٦ ـ ٢٧.
٢) سورة غافر ـ الآية: ١٦.
٣) تفسير ابن كثير ـ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه تعالى يطوي السماوات والأرض بيده، ثم يقول: ....الحديث.

رابعا: الدَّورَة الزَّمانية للسُّنن الرَّواتب: حيث بدأت السُّننُ الرَّواتب في الصَّلاة اليومية بِرَكعتين قبل صَلاة الفَجر، وانتهى اليومُ بركعةٍ واحِدة بعد صَلاة العِشاء، وهذا ناتجٌ عن تعاقُبِ الليل والنَّهار، حيث قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾[1]؛ أي: كُلَّما جاء اللَّيل ذهبَ النهَّار، وكلَّما جاء النَّهارُ ذهب اللَّيل، وهكذا أبدًا على الدَّوام[2].

وبالنظر إلى هذه الدَّورة الكونية بين الليل والنهار، وتلازم الشفع والوتر فيها، فإنه يمكن استنتاج أمرين:

- **الأول**: أنَّ التَّلازمَ الدَّائمَ بين الشَّفع والوتر في هذه الدورة الزَّمانية لليوم، يفسر القسمَ في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾،[3] ـ كما سبق بيانه، بأول هذا الفصل.

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ٥٤.
٢) السعدي ـ تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان.
٣) سورة الفجر ـ الآية: ٣.

• الثاني: أنَّ تتابع السُّنَنِ النبويَّة الشريفة كلَّ يوم، يشبه تتابع الليل والنهار، فهما في تتابع زمني دائم، فاليوم يبدأ بركعتين من سُنةِ الفجر القبليَّة، وينتهي بركعةٍ واحدةٍ هي ركعةُ الوتر البعدية الأخيرة من كل يوم، وكلتاهما يرتبطان بسيد الوجودِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، من وجهتين:

الأولى: أنه في بداية الحياة الدُّنيا، جعله الله رحمةً وهدايةً للخلق، فهو صلى الله عليه وسلم (الرَّحمة المهداة)، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]؛

الثانية: أنه عند نهاية الخلق في يوم القيامة وساعةِ الحشر، جعله الله شفيعًا للأمَّة، ومنحَه الشَّفاعة العُظمى التي لم تكن لمخلوق سِواه، فهو الشفيع الأوحد؛

(صلى اللّه عليه وسلَّم تسليمًا كثيرًا)

---

١) سورة الأنبياء ـ الآية: ١٠٧.

وفي الختام: وبيانًا لمكانة النَّبي صلى الله عليه وسلم عند ربه، وإظهارًا لشأنه وقَدرِهِ، يمكن تصوُّر حقيقةَ أداءِ الصَّلاة بالصُّورة المعهودة، كما يلي:

فأولا: **القيام**: يكتب الإنسان بجسده حرفَ الألف: (ا)؛

ثانيا: **الركوع**، يرسِمُ حرفَ الحاء: (حـ)؛

ثالثا: **السجود**، يُكوِّن حرفَ الميم: (مـ)؛

رابعا: **الجلوس**، يُشكِّل حرفَ الدَّال: (د).

فيُكَوِّنُ (أحمد) صلى اللّه عليه وسلم، كما هو اسمه في السَّماء قبل أن يُبعث، عليه أكمل صلاة وأتم تسليم.

قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾

(سورة الصف: الآية/ ٦)

صدق اللّه العظيم

(الخاتمة)

لقد جَمَع هذا الكتاب بين أيام الله تعالى وبين أيام حياة الإنسان، وأركان الإسلام، والصَّلواتِ الخمسِ وسُنَنِها، كما ورد في القرآن الكريم، حيث يبدأ اليوم الأول من قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾؛[1] ثم يتحقَّق اليوم الثاني عند تكوين الجنين في بطن الأُمِّ، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛[2] ثم يَمُرُّ الإنسان بثلاثةِ أيام مُتتابعاتٍ من حياته، جاءت في قوله تعالى:

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.[3]

(صدق الله العظيم)

---

١) سورة الأعراف ـ الآية: ١٧٢.

٢) سورة آل عمران ـ الآية: ٦.

٣) سورة مريم ـ الآية: ١٥.

وإنني أُعيدُ الفضل إلى صَاحبه، وإلى من هو أحقُّ بالذكر في خاتمة هذا الكتاب، شيخي وسندي ومُمِدِّي بعظيم منِّهِ وكرمِه، سيدي فضيلة الشيخ محمد الحافظ أحمد التِّجاني، شيخ الطريقة التِّجانية بجمهورية مصر العربية، الذي أذِنَ لي بالبحث في هذا الموضوع الدَّقيق، فكان ولله الحمد والشَّكر كما ينبغي له، إتمام هذا العمل، وإنجاز البحث فيه، حتَّى صدَر على تلك الصُّورة التي بين أيديكم الكريمة، وإني لأطلب العفو وأسأل المغفرة، مِنْ كلِّ قارئ يجد أنِّي قد أخطأت أو قصَّرت في التَّوصُّل إلى ما يهدف إليه هذا الكتاب سَواء في العرض وصياغة الكلمات والمباني، أو في التَّحليل وطرح الدَّليل على ما يؤكِّد صِحَّة المعاني، وقد تم الانتهاء من هذا العمل بتاريخ: (٩ شوال ١٤٤٤هـ ـ ٢٩/ ٤/ ٢٠٢٣م)؛ فهذا مِنْ عَطاءِ ربِّي، رَاجِيًا إيَّاهُ أن يكُون عَطاءً غيرَ مجذُوذٍ.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾

(سورة المؤمنون ـ الآية: ١١٦)

(خير ختام)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد خير البرية؛
صلاةً تدفع عنا بها كل همٍّ وشرٍّ وبَلِيَّة؛
ونسألُكَ بها وببَركة الصَّلاة عليه صِحَّةً في إيمان؛
وإيمانًا في حُسن خُلق، ونجاحًا يتبعه فلاحًا؛
ورحمةً منك وعافيةً ورضوانًا؛
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته أجمعين
آمين آمين يا رب العالمين.

الفهرس

رقم	الموضـــــــوع	الصفحة
-	تقديم فضيلة الشيخ محمد الحافظ أحمد التِّجاني...	١
-	المقدمة.....	٣
١	تنوع البيان في الآيتين.....	٦
٢	تعريف أيام الله.....	٢٩
٣	أيام الله في التَّوراة.....	٣٨
٤	أيام الله بالنسبة للإنسان.....	٤٤
٥	أيام الله وأركان الإسلام.....	٥٩
٦	أيام الله والصلوات الخمس.....	٨٦
٧	أيام الله والسُّنن الرَّواتب.....	٩٩
٨	الخاتمـــة.....	١١٥
ـــ	الفهرس.....	١١٨

(تمَّ بحمد الله)